

الأسر الأنصارية في العهد النبوي

دراسة في أوضاعها الاجتماعية وتأثيرات الهجرة عليها

الدكتور / عبد الرحمن بن علي السنيدي

الأستاذ المشارك بقسم التاريخ بكلية علوم الاجتماعية

مقدمة :

من معاني الأسرة في المعاجم اللغوية : عشيرة الرجل ورهطه الأدنون، لأنه يتقوى بهم ، ومن معانيها كذلك في ذات المعاجم: أهل بيت الرجل^(١)، ويقصد بها في هذا البحث تلك الوحدة الاجتماعية الصغيرة التي تضم الرجل وأهل بيته ممن يتولى المسؤولية عنهم ورعايتهم، كما بين ذلك الحديث: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته)^(٢).

ومن مقومات هذه الوحدة : الزوجة والأبناء، كما قد تضم الأخوة والأخوات ممن يعولهم الزوج بحسب الظروف والأحوال^(٣).

والأنصار رضي الله عنهم هم الأنصار المناصرون لرسول الله ﷺ من الأوس والخزرج . قال ابن الأثير : لقبهم رسول الله ﷺ بالأنصار لما هاجر إليهم ومنعوه ونصروه^(٤) ، ويقول ابن حجر : الأنصار اسم إسلامي سمى به

(١) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ ، مج ٤ ، ص ٢٠ .

(٢) البخاري الجامع الصحيح كتاب الأحكام ، باب قوله تعالى: (أطيعوا الله والرسول) ، ج ٨ ، ص ١٠٤ ، وانظر مسلم : الجامع الصحيح كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل ، ج ٣ ، ص ١٤٥٩ .

(٣) كما في حالة جابر بن عبد الله رضي الله عنه حيث توفي أبوه وترك تسع أو سبع بنات كما في رواية عمرو بن دينار عن جابر في صحيح مسلم ، انظر : المصدر نفسه ، كتاب الرضاع ، باب استحباب نكاح البكر ، ج ٢ ، ص ١٠٨٧ .

(٤) الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ٦٥٥ .

النبي ﷺ الأوس والخزرج^(١) وهم جزء من أمة الإسلام الناشئة بالمدينة بعد الهجرة والتي تكونت من مهاجرين خرجوا من ديارهم وأموالهم، وأنصار وهم المسلمون من أهل المدينة آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم وواسوهم في أموالهم ونصروا الله ورسوله^(٢).

وتتكون قبيلتا الأوس والخزرج من مجموعة من العشائر والبطون ، ولكل عشيرة منها منطقتها السكنية كبنى النجار قرب المسجد النبوي ، وبنى عبد الأشهل وسكنوا شمال منازل بني ظفر ، وبنى عمرو بن عوف بقباء^(٣)، وبنى الحارث بن الخزرج بالسُّنْح^(٤).

وتضم تلك العشائر والبطون مجموعات من الأسر تجمع بينها روابط الدم والقربى أو محالفة العشيرة أو إحدى أسرها .

الزواج وتكوين الأسرة :

يعد الزواج نقطة البدء في تكوين الأسرة شأن الأوس والخزرج في ذلك شأن القبائل العربية الأخرى ، وحيث إن الإسلام قد دخل إلى المدينة

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مناقب الأنصار، ج٧ ، ص ١١٠ .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٢١٤ .

(٣) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، تحقيق : عبد الله التركي ، القاهرة ، دار هجر ، ١٤١٧ هـ ، ج٤ ، ص ٥٠١ ، وأنظر كذلك السمهودي : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، القاهرة ، ج١ ، ص ١٣٤ - ١٣٦ - ١٥٠ .

(٤) السُّنْح : إحدى محال المدينة ، وهي منازل بني الحارث بن الخزرج (ياقوت : معجم البلدان ج٣ ، ص ٢٦٥) .

وانتشر فيها بعد بيعتي العقبة والهجرة ؛ فقد أصبحت قواعده ونظمه
المنزلة من الله والتي بينها رسول الله ﷺ حكماً على الحياة الأسرية مع
ملاحظة أن تلك الأحكام ، لم تنزل دفعة واحدة بل نزلت متدرجة مع
الأحداث والوقائع^(١) ، ومما جاءت به الشريعة تعظيم أمر الزواج كرابطة بين
الرجل والمرأة إذ عبر عنه في القرآن الكريم بالميثاق الغليظ . قال تعالى :
﴿ وَأَخْذَنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء : ٢١] .

ولقد منعت الشريعة بعض الأنكحة الفاسدة مثل نكاح امرأة الأب بعد
وفاته وهو ما كان معروفاً في المدينة قبل الإسلام ، فقد كان ثابت بن المنذر
متزوجاً من امرأة أبيه سخطى بنت حارثة^(٢) ، وروى عكرمة : أن كبشة بنت
معن بن عاصم الأوسية لما توفى عنها زوجها جنح عليها ابنه فجاءت إلى
النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله لا أنا ورثت زوجي ولا أنا تركتُ فأُنكح^(٣) .
ويذكر ابن حجر أنها قالت لابن زوجها : إنما أعدك ولداً وأنت من صالح
قومك .

ولما أتى النبي ﷺ وسأله عن ذلك نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ
آبَاؤُكُمْ ﴾ [النساء : ٢٢]^(٤) .

تحتفل الأسرة الأنصارية بالزواج مظهرةً البهجة والسرور ، فكانت

(١) انظر : مناع خليل قطان : مباحث في علوم القرآن ، ص ١٠٠ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٣ ، ص ٥٠٣ .

(٣) الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ، ج ٣ ، ص ٤ ، ص ٢٠٨ .

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٤ ، ص ١٦٢ .

الجواري يخرجن فينشدن عند الزواج^(١) ، روت عمرة بنت عبد الرحمن أن النساء إذا تزوجت المرأة أو الرجل خرج جوار من جواري الأنصار وهن يغنين ويلعبن ، قالت : فمروا بمجلس فيه رسول الله وهن يقلن :

أهدى لها زوجها أكبشاً يحببهن في المريد

وزوجها في النادي ويعلم ما في غد

فقال : سبحان الله لا يعلم ما في غد إلا الله لا تقولوا هكذا، قولوا :

أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم^(٢)

وفي طبقات ابن سعد :

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحبيكم

ولولا الحنطة السمراء لم نحل بواديكم

ولولا الذهب الأحمر ما جئناكم^(٣)

وعن عائشة أنها زفّت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال نبي الله ﷺ : يا عائشة ما كان معكم من لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو^(٤). وفي بعض

(١) حول الضرب بالدف في النكاح والأفراح ، انظر : ابن قدامة : المغني ، ج٧ ، ص ١٠ ، ابن تيمية : الفتاوي ، ج ٢٨ ، ص ١٦٢ .

(٢) انظر البيهقي : السنن الكبرى ، كتاب النكاح ، باب ما يستحب من إظهار النكاح ، ج ٧ ، ص ٢٨٩ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٨ ، ص ٤٤٠ .

(٤) انظر : البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب النكاح ، باب النسوة اللاتي يهدين المرأة إلى زوجها ، ج ٦ ، ص ١٤٠ .

المصادر أن هذه المرأة هي الفارعة بنت أسعد بن زرارة الأنصاري . وكان أبوها قد أوصى بها إلى رسول الله ﷺ فزوجه رسول الله نبيط بن جابر الأنصاري^(١) . وعند زواج الربيع بنت معوذ كان هناك جوار يضرب بالدفع ويندبن بعض قتلى بدر^(٢) .

ويقدم الزوج لزوجته مهراً أو صداقاً . فقد أصدق ثابت بن قيس بن شماس زوجته حديقة نخل^(٣) ، وتزوج عبد الرحمن ابن عوف امرأة من الأنصار فأصدقها نواة من ذهب^(٤) ، وهو معيار للذهب معروف في ذلك العهد قيل إنه يعادل خمسة دراهم^(٥) .

واستكثر رسول الله ﷺ صداق امرأة من الأنصار بلغ أربع أواق فروى مسلم أنه قال لزوجه: (على أربع أواق!! كأنما تتحتون الفضة من عرض هذا الجبل . ما عندنا ما نعطيك)^(٦) .

وتزوج أبو طلحة الأنصاري أم سليم وكان صداقها الإسلام ، حيث

(١) انظر : ابن حجر : فتح الباري ، ج٥ ، ص ٢٢٦ .

(٢) انظر : البخاري : المصدر السابق ، كتاب النكاح ، باب ضرب الدف ، ج٦ ، ص ١٣٧ .

(٣) انظر : ابن حجر : فتح الباري ، ج٩ ، ص ٢٢٦ .

(٤) انظر البخاري ، كتاب النكاح ، باب قول الرجل لأخيه: أنظر أي زوجتي هويت حتى أنزل لك عنها ، ج٦ ، ص ١١٨ .

(٥) انظر عبد الله البسام : تيسير العلام شرح عمدة الأحكام ، ص ٥٤-٥٥ .

(٦) مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب النكاح ، باب ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزويجها ، ج٢ ، ص ١٠٤٠ .

أسلم - رضي الله عنه - وكانت قد قالت له : إن أسلمت فإنني لا أريد منك صداقاً^(١) غيره. وليس معنى ذلك أن أبا طلحة أسلم لمجرد الرغبة في الزواج من أم سليم ، بل إن مطالبتها إياه بالتفكير في أمر عبادة الأوثان والدخول في الإسلام كان من الحوافز الأساسية وراء إسلامه .

ومما يواكب الزواج صنع " الوليمة " يقوم بذلك المتزوج تعبيراً عن الفرح والسرور ، وقد صنع ذلك على سبيل المثال أبو أسيد الساعدي^(٢) لما تزوج فإنه دعا النبي ﷺ وأصحابه . فصنعت زوجته لهم طعاماً وقربته إليهم^(٣) .

أما ما ورد أن النبي ﷺ شهد إملاك رجل من الأنصار وما روى أنه قال : على الإلفة والطير المأمون والسعة في الرزق بارك الله لكم دفعوا على رأسه فجاءوا بالدف فضرب به وأقبلت الأطباق عليها فأكهه وسكر ، فيقول عنه البيهقي : في إسناده مجاهيل وانقطاع ولا يثبت في هذا الباب شيء^(٤) . ويفهم من بعض الروايات أن بعض الأزواج يفضل الزواج من امرأة

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٨ ، ص ٢٤٦ .

(٢) هو مالك بن ربيعة بن البدن ، الخزرجي الأنصاري ، أبو أسيد ، كان معه راية بني ساعدة يوم الفتح .. اختلف في زمن وفاته ف قيل سنة ستين وقيل سنة أربعين ، وقيل غير ذلك .. ابن حجر : الإصابة ، ج ٣ ، ص ٣٤٤ .

(٣) أنظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ج ٩ ، ص ٢٥١ ، والزوجة هي سلامة بنت وهيب أم أسيد .

(٤) السنن الكبرى ، كتاب الصداق ، باب ما جاء في النثار في الفرح ، ج ٧ ، ص ٨٨٢ ، وقد اعتبر ابن الجوزي هذا الخبر من الموضوعات ، أنظر : ابن حجر : الإصابة ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ .

ثيب - سبق لها الزواج ، ولها رصيد من الخبرة والمعرفة بإدارة المنزل نظراً لظروف الزوج الأسرية فإن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - رأى أن ينكح امرأة ذات تجربة تجمع أخواته وترعاهن وتقوم عليهن وتغسل ثيابهن ، ولم يتزوج جارية حديثة السن لخشيته من عدم قدرتها على رعاية أخواته والمحافظة على أسرته^(١)، تلك الأسرة التي أوصاه والده عبد الله بن حرام بها قبل خروجه إلى أحد حيث استشهد فيها^(٢). وتزوج بعض أثرياء الأنصار نسوة سبق لهن الزواج والإنجاب، فقد تزوجت أم سليم بنت ملحان بعد مالك بن النضر من أبي طلحة الأنصاري الذي كان من أكثر الأنصار مالاً ونخلاً^(٣)، لكن سعد بن عبادَةَ سيد الخزرج عرف عنه أنه ما تزوج امرأة قط إلا بكرةً وما طلق امرأة قط فاجترأ رجلٌ من الخزرج على أن يتزوجها لفرط غيرته^(٤).

وإذا كان الخاطب يضع مواصفات معينة لمخطوبته فإن بعض النساء قد يضعن شروطاً تسبق الدخول إلى عش الزوجية، يتجلى ذلك في موقف والدَة سمرة بن جندب - رضي الله عنهما - حيث كانت تقول : لا أتزوج إلا برجل يقوم بنفقة سمرة فتزوجها رجل من الأنصار على ذلك، وكانت معه

(١) انظر : البيهقي : دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، ج ٣ ، ص ٣٨١ .

(٢) انظر الحاكم النيسابوري : المستدرک على الصحيحين ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ .

(٣) انظر مسلم ، الجامع الصحيح ، كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج ، ج ٢ ، ص ٦٩٣ .

(٤) ابن كثير : إسماعيل ابن كثير : (٤٧٧هـ) : تفسير القرآن العظيم ، القاهرة ، دار الحديث ، ١٤١٥هـ ج ٣ ، ص ٢٥٧ .

في الدار^(١).

وقد حدث لخنساء بنت خدام الأنصارية أن أباه زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك . فرد رسول الله ﷺ نكاحها^(٢) . وفي رواية أنها قالت للنبي ﷺ (إن أبي أنكحنني وإن عم ولدي أحب لي) ، ويفهم من ذلك أن حرصها على ولدها من زوجها الأول جعلها ترغب في الزواج من عمه^(٣) ، وقد أمر رسول الله ﷺ أن تلحق خنساء بنت خدام بهواها فتزوجت أبا لبابة الأنصاري^(٤) .

والشائع في مجتمع الأنصار الزواج من الأقارب أو من القبيلة نفسها فقد تزوج جابر بن عبد الله من ابنة عمته^(٥) ، وكان سعد بن عباد متزوجاً من ابنة عمه فكية بنت عبيد^(٦) .

وتزوج أبو سعد بن أوس من نسيبة بنت رافع وهي ابنة عمه^(٧) .

وفي تراجع ابن سعد للنساء المسلمات المبايعات من بني النجار إحدى فصائل قبيلة الخزرج نجد أن (٤٨) من نساء بني النجار تزوجن من

(١) انظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٥ ، ص ٥١٣ .

(٢) ابن حجر : فتح الباري ، ج ٥ ، ص ١٩٤ .

(٣) ابن حجر : فتح الباري ، ج ٩ ، ص ١٩٥ .

(٤) انظر ابن الأثير : أسد الغابة ، ج ٥ ، ص ٤٤١ .

(٥) انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٨ ، ص ٣٣٩ ، وهي سُهَيْمة بنت مسعود من بني ظفر من الأوس ، المصدر نفسه ، ج ٨ ، ص ٣٣٩ .

(٦) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٥٣ .

(٧) ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٤ ، ص ٤١٨ .

العشيرة نفسها و(١٣) منهن تزوجن من فصائل أوسية وخزرجية أخرى، وامرأتين تزوجتا من مهاجرين. علماً أن هناك نساء لم يحدد ابن سعد أزواجهن^(١).

وكما هو معلوم فقد عُرف تعدد الزوجات عند العرب لكن بيئة المدينة قبل الإسلام لم تعرف ذلك التعدد المفرط كما عرف في ثقيف^(٢) حيث وجد من جمع بين عشر من النساء، وكذلك في قريش حيث وجد من جمع بين ثمان نساء^(٣)، وممن كان متزوجاً بأكثر من واحدة في مجتمع الأنصار، أبو خيثمة الأنصاري^(٤).

ففي روايات ابن إسحق عن تبوك. أن أبا خيثمة رجع بعد أن سار أياماً إلى أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه قد رشت كل واحدة منهما عريشها. وكذلك كان لكل من سعد بن الربيع^(٥) ورافع بن خديج امرأتان^(٦).

(١) راجع : الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٤١٢-٤٥٥ .

(٢) ابن حبيب : المحبر ، ص٣٥٧ .

(٣) انظر البيهقي : السنن الكبرى ، ج٧ ، ص١٨٣ ، ، كتاب النكاح ، باب من يسلم وعنده أكثر من أربع نسوة .

(٤) انظر ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ج٤ ، ص١٧٤-١٧٥ .

(٥) انظر البخاري : الجامع الصحيح ، ج٦ ، ص١١٨ كتاب النكاح .

(٦) انظر الحاكم النيسابوري : المستدرک ، ج٢ ، ص٣٠٨ كتاب التفسير .

المرأة في مجتمع الأسرة الأنصارية :

تشير الروايات إلى أن المرأة كانت ذات مكانة ومنزلة في مجتمع المدينة قبل الإسلام ، وعرف عن بعض النسوة أن أمرهن بيدهن إن شاءت أقامت مع زوجها وإن شاءت تركته لشرفها، عرف هذا عن سلمى بنت عمرو النجارية^(١). روى البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: (كنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار^(٢) ..) ويُفهم من ذلك أن التقاليد السائدة في المدينة ، أعطت المرأة منزلة لم تظفر بها نساء قريش ، اللاتي ما كان لهن أن يراجعن الزوج^(٣).

ولم تكن المرأة الأنصارية غائبةً عن الخطوات الأولى التي مهدت لمرحلة ما بعد الهجرة ، ففي مرحلة الانتقال إلى الإسلام كان للمرأة الأنصارية حضورها في بيعة العقبة الثانية ، حيث شاركت أم عمارة ، وأم منيع أسماء بنت عمرو^(٤) في هذه البيعة التاريخية ، ولقد برهن بعض النساء - الزوجات - على مقدرتهن في التأثير على مواقف بعض الرجال تجاه الدين الجديد الذي دخل المدينة . فورد في بعض المصادر أن أم سليم

(١) ابن حبيب : المحبر ، ص ٣٩٨

(٢) البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب النكاح ، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها ، ج٦ ، ص ١٤٨ ، مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب الطلاق ، باب الإيلاء واعتزال النساء ، ج٢ ، ص ١١١ .

(٣) مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب الطلاق ، باب في الإيلاء ، ج٢ ، ص ١١٠٨ .

(٤) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ج٢ ، ص ٧٤-٧٥ .

بنت ملحان النجارية الخزرجية ، لما خطبها أبو طلحة الأنصاري - وهو آنذاك لم يسلم كما مر بنا- فقالت له : أَلَسْتَ تعلم أنّ إلهك الذي تعبد نبت من الأرض ، قال : بلى ، قالت : أفلا تستحي ؟ تعبد شجرة تنبت من الأرض ، إن أسلمت فإنني لا أريد منك صداقاً غيره، وفي رواية: إن إلهك الذي تعبد خشبة نبتت في الأرض نجرها حبشي بني فلان !! . ووصل أبو طلحة إلى الاقتناع بالإسلام فأعلن إسلامه ومن ثم تزوج أم سليم^(١).

وقد بينت بعض المواقف المؤلة التي مرت بها أسرة أبي طلحة وأم سليم ما يدل على قوة هذه المرأة الصحابية ، الموصوفة بجودة الرأي وقوة العزم^(٢). فقد مات لهما غلام في غيبة أبيه ولما عاد سأل عنه ؟ فقالت : يا أبا طلحة ما رأيت كما فعل جيراننا هؤلاء إنهم استعاروا عارية فجاء أصحابها يطلبونها فأبوا أن يردوها عليهم ، قال : بئس ما صنعوا ، قالت : فأنت هو كان ابنك عارية من الله عز وجل وإنه قد مات^(٣).

ونموذج آخر للنسوة المؤثرات: تلك هي امرأة جابر بن عبد الله رضي الله عنه عندما أزالته مخاوف زوجها لما جاء رسول الله بأصحابه إلى ما أعده من طعام أثناء حفر الخندق وكان جابر رضي الله عنه قد عرض على النبي ﷺ الطعام وقال له : إنّ رأيت أن تقوم معي أنت ورجل أو رجلان معك ، فلما جاء رسول الله بالناس إلى بيت جابر ، استحيا من ذلك لأن

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص ٤٢٦-٤٢٧ ، البيهقي : السنن الكبرى ، كتاب السير ، باب ما يفعله بالرجال البالغين منهم ، ج٩ ، ص ٦٥-٦٦ .

(٢) ابن حجر : فتح الباري ، ج٣ ، ص ١٧١ .

(٣) البيهقي : دلائل النبوة ، ج٦ ، ص ١٩٩ .

الطعام لا يكفي إلا لعدد قليل ، فقالت المرأة : أكان رسول الله ﷺ سألَكَ عن الطعام ؟ قال : نعم . قالت : الله ورسوله أعلم قد أخبرته بما كان عندك^(١) . وهكذا بثت في نفس زوجها الطمأنينة مُذكِّرة إياه أنَّ رسول الله عالمٌ بالأمر ومن ثم لن يحدث ما يُحرجُه أمام رسول الله والناس ، وقد جاء في بعض الروايات عن جابر (فكشفت عني غمّاً شديداً) وموقفها ذلك يكشف عن وفور عقلها وكمال فضلها^(٢) . وثمة نسوة أخريات ينتمين إلى مجتمع الأنصار عرفن بقوتهن ومساندتهن للإسلام في ظل القيادة النبوية مثل أم عمارة^(٣) . ووافدة النساء أسماء بنت يزيد الأشهلية^(٤) ؛ وسيأتي الإشارة إلى دور أولئك النسوة في الأعمال المتعلقة بالحرب .

وداخل خلية الأسرة كانت المرأة تقوم بالأعمال المنزلية مثل إعداد

(١) البيهقي : دلائل النبوة ، ج٣ ، ص٤١٦-٤١٧ .

(٢) ابن حجر : فتح الباري ، ج٧ ، ص٣٩٧ .

(٣) انظر : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج٤ ، ص٤٧٩ .

(٤) وهي القائلة للنبي ﷺ وهو بين أصحابه : بأبي وأمي أنت يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك إن الله بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمننا بك وبإهلك وإنا معشر النساء محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم ومقضي شهواتكم وحاملات أولادكم وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعبادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل ، وإن الرجل إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم وغسلنا أثوابكم وربينا أولادكم ، فما نشارككم في هذا الأجر والخير ، فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ، ثم قال : « هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه »
انظر ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٣٩٨ ، الهيتمي : مجمع الزوائد ، ج٤ ، ص٤٠٣ .

الطعام^(١) وحياسة الثياب^(٢) ورعاية الأولاد ، وفي ظل غيبة الزوج بحكم المشاركة في الغزوات والسرايا والتي تتطلب سفرًا طويلاً ، وفي ظل بعض الظروف التي تتعرض لها المرأة ، لا غرابة أن تقوم المرأة بالرعاية الكاملة للمنزل وأن تبحث عن الطعام للأسرة .

روى مسلم أن خالة جابر رضي الله عنهما خرجت لتجد نخلًا لها فزجرها رجل أن تخرج . لأنها مطلقة وفي حال العدة - فأتت النبي ﷺ فقال: بلى فجدِّي نخلك فإنك عسى أن تصدقي أو تفعلي معروفًا^(٣) . وتحملت بعض النساء أعباء النفقة على الزوج والبحث عن طعام لأهل البيت ومن تلك النسوة زينب الأنصارية امرأة أبي مسعود الأنصاري ، التي أتت النبي ﷺ مع امرأة أخرى تسألانه عن النفقة على الزوج .

ويروى أنهما قالتا للنبي ﷺ : (يا رسول الله أيجزى عنا أن نجعل الصدقة في زوج فقير وبني أخ أيتام في حجورنا؟ فقال رسول الله : لك أجران أجر الصدقة وأجر الصلة^(٤) ، وكذلك خولة بنت ثعلبة الأنصارية والتي تذكر أن زوجها ليس له شيء وما ينفق عليه إلا هي^(٥) .

(١) انظر : البيهقي : دلائل النبوة ، ج٣ ، ص٤١٦ .

(٢) انظر ابن سعد : الطبقات ، ج٤ ، ص٢٣٤ ، راجع : نوره آل الشيخ : الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالمدينة ، ص١٢٩ .

(٣) انظر : مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب الطلاق ، باب جواز خروج المعتدة البائن ، ج٢ ، ص١١٢١ .

(٤) ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٥ ، ص٣٦٤ ، ابن حجر : فتح الباري ، ج٣ ، ص٣٢٩ .

(٥) ابن سعد : الطبقات ، ج٨ ، ص٣٧٨ .

وروى البخاري وغيره أن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها : أعندك طعام ، قالت : لا ولكن أَنْطَلِقُ فَأَطْلُبُ لَكَ^(١).

ويفهم من هذه النصوص أن هناك نسوة من مجتمع الأنصار ، شاركن أزواجهن في تحمل أعباء النفقة على المنزل وتأمين لقمة العيش لساكنيه . ونهضت نسوة أنصاريات بالعديد من الأعمال التطوعية والاجتماعية ومن ذلك تمريض المرضى^(٢) وغسل الميتات^(٣)، وكذلك شاركن في الجهاد مع النبي ﷺ أمثال أم عمارة نسيبة بنت كعب ، ومما شهدته من المعارك أحد ، وكانت تسقي الجرحى ، ثم شاركت في القتال وأبليت فيه بلاءً حسناً^(٤) ، وأم عطية الأنصارية التي خرجت في سبع من الغزوات ، تداوي الجرحى وتعالج المرضى وتصنع الطعام للمجاهدين^(٥) . ويروى عن الربيع بنت معوذ الأنصارية : (كنا نغزو مع النبي ﷺ فنسقي القوم ونرد الجرحى والقتلى

(١) انظر البخاري ، الجامع الصحيح ، كتاب الصوم ، باب قول الله جل ذكره

((أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم)) ، ج٢ ، ص ٢٣٠ .

(٢) ورد عن أم العلاء الأنصارية .. أنه اشتكى عثمان بن مظعون فمرضناه ، انظر ابن حجر : فتح الباري ، ج٢ ، ص ١١٤ .

(٣) اشتهر بذلك أم عطية الأنصارية : انظر البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب الجنائز ، باب هل تكفن المرأة في إزار الرجل ، ج٢ ، ص ٧٤ ، ابن سعد : الطبقات ، ج٨ ، ص ٤٥٥ .

(٤) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ج٣ ، ص ٢٩-٣٠ .

(٥) مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب الجهاد ، ج٣ ، ص ١٤٤٧ .

إلى المدينة^(١). ولقد كانت مهمة مداواة الجرحى وسقاية المقاتلين من الأعمال التي تقوم بها النسوة الأنصاريات اللاتي كن يخرجن مع رسول الله ﷺ ومنهن أم سليم وأم سليط الأنصارية والربيع بنت معوذ^(٢) وهند بنت عمرو وأم العلاء وأم عامر الأشهلية^(٣).

الأولاد في مجتمع الأسرة :

من التحديات التي واجهت الأسرة في المدينة قبل الهجرة : ارتفاع نسبة وفيات المواليد بسبب الحمى ، نتيجة الوباء الذي عرفت به المدينة ، ورد في بعض المصادر أن المولود لا يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى لهذا دعا النبي ﷺ للمدينة، ومما جاء في دعائه (وانقل وبأها إلى مهية وهي الجحفة)^{(٤) (٥)}. وورد عن بعض المفسرين أن المرأة من الأنصار تكون

(١) انظر : ابن حجر : فتح الباري ، ج٦ ، ص ٨٠ .

(٢) انظر : ابن حجر : فتح الباري ، ج٦ ، ص ٧٨-٧٩-٨٠ .

(٣) انظر الواقدي : المغازي ، ج٢ ، ص ٦٨٥ . ولمعرفة المزيد من المعلومات عن أثر نساء الخزرج في بناء المجتمع الإسلامي ، راجع : منصور الصغير : الخزرج دورهم في بناء الدولة الإسلامية خلال القرن الأول الهجري ، رسالة دكتوراة غير منشورة في التاريخ الإسلامي ، نوقشت بكلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٧هـ ، ص ٤٤٣-٤٤٤ .

(٤) انظر : البيهقي ، دلائل النبوة ، ج٢ ، ص ٥٦٨ .

(٥) الجحفة : موضع بين مكة والمدينة يقع شرق رابغ مع ميل إلى الجنوب على مسافة ٢٢ كيلاً .

(محمد محمد شراب المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص ٨٨).

مَقْلَاتاً ^(١) فتجعل على نفسها إن عاش لها ولدَ أن تهوِّده . وفي رواية أخرى أن المرأة التي لا يعيش لها أولاد تنذرُ إن عاش ولدها أن تجعله مع أهل الكتاب على دينهم ^(٢).

كذلك عانى العديد من الأبناء من اليتيم الناجم غالباً عن الحروب الطاحنة التي دارت رحاها بين الأوس والخزرج ، وبسببها كثر الأطفال اليتامى ، فمثلاً قتل والد زيد بن ثابت رضي الله عنه يوم بعاث وكان عمره (٦) سنوات ^(٣)، هذا إلى جانب العديد من الأطفال الذين فقدوا آباءهم بسبب الحرب أو غيرها أمثال سهل وسهيل ابني عمرو ^(٤) وزيد بن أرقم ^(٥) وثابت بن رفاعه ^(٦) وعمير بن سعد ^(٧). وعلى أي حال فإن حالات (اليتيم) من التحديات التي سوف يستمر وجودها كظاهرة واضحة في مجتمع الأسرة نظراً لاستشهاد العديد من الأنصار في معارك الجهاد مع رسول الله ﷺ ففي أحد وحدها استشهد ما يزيد على الستين من الأنصار ، هذا بالإضافة إلى شهداء بدر وبئر معونة وغيرهما من الغزوات والسرايا والحروب. ويلمس المدارس لأحوال الأطفال والذرية في مجتمع يثرب قبل

(١) المقالات : هي التي لا يعيش لها ولد وأصلة من القلت وهو الهلاك ، انظر : الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، ص ٢٠٢ .

(٢) انظر الطبري : جامع البيان ، مج ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠ ، أبو داود : السنن ، ج ٣ ، ص ٥٩ .

(٣) ابن الأثير : أسد الغابة ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ .

(٤) انظر ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .

(٦) انظر الطبري : جامع البيان ، مج ٣ ، ج ٤ ، ص ١٧٤ .

(٧) انظر ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ج ٤ ، ص ٢٠٩ .

الهجرة صوراً عديدة من إهمال الذرية ومن ذلك أنهم يؤخذون كرهائن وربما يقتلون غدرًا في غمرة الحروب الطاحنة بين الأوس والخزرج^(١)، وقد يُحرّمون من الميراث^(٢). كما أنهم حرّموا من تعلم القراءة والكتابة ما عدا نفرًا يسيرًا منهم^(٣).

ولقد اختفى ذلك الإهمال والحيث النازل بتلك الشريحة الاجتماعية بعد انتشار الإسلام في المدينة وتفقه الأسر الأنصارية في دين الله ، ذلك أن تعاليم الدين وتشريعاته التي حلت محل القيم الجاهلية القديمة دعت الأبوين إلى رعاية الأبناء والاهتمام بهم ، ومن ثمار التفقه في الدين والوعي بتعاليم الإسلام ، أن الأسر الأنصارية سعت إلى ربط أبنائها بالنبي الكريم ﷺ فمن البداية كانت الأسر تدفع بمواليدها إلى مجلس رسول الله ﷺ ، كما كان (يزور الأنصار فيسلم على صبيانهم ويمسح برؤوسهم)^(٤) ، وفي هذه اللقاءات يدعو لأولئك الصبيان وربما غير بعض أسماء المواليد إلى الأحسن مثل المنذر بن أبي أسيد الساعدي ففي الحديث أنه أتى به

(١) انظر: ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص٦٧٥-٦٧٦ .

(٢) الطبري ، جامع البيان ، مج ٢ ، ج٤ ، ص١٨٥ .

(٣) كان الكتابُ في الأوس والخزرج قليلاً (انظر : البلاذري : فتوح البلدان ، ص٤٥٩) ، وقد ورد في بعض المصادر أن ناساً من أهل بدر ليس لهم فداء جعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة . البيهقي : السنن الكبرى ، كتاب قسم الغنيمة والفِيء ، باب ما جاء في مفاداة الرجال منهم بالمال ، ج٦ ، ص٣٢٢ ، انظر : تخريج الرواية ، عند مهدي رزق الله : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ص٩٥٣ .

(٤) انظر البغوي : شرح السنة ، كتاب الاستئذان ، باب التسليم على النساء ، ج٦ ، ص٥٣٣

إلى النبي ﷺ فقال : ما اسمه ، قال أبوه : فلان ، فقال النبي ﷺ : لا ولكن اسمه المنذر ^(١) ، وروي عن محمد بن أنس بن فضالة قال : قدم النبي ﷺ المدينة وأنا ابن أسبوعين فأتني بي إليه فمسح برأسي ودعا لي بالبركة وقال سموه باسمي ^(٢) . لقد جاءت أسماء المواليد الجدد بعد الهجرة انعكاساً لثقافة المرحلة الجديدة ، فانتشر اسم "محمد" بين الأنصار ، وكذلك «عبدالرحمن» الذي كانت التسمية به من القليل النادر ^(٣) . وحرصت الأسر الأنصارية على ربط الأبناء اليافعين بالقيادة النبوية ؛ ليكونوا على مقربة من مجالس النبي ﷺ ، وليعينوا القيادة النبوية على أداء بعض المهام التي يرى النبي ﷺ مناسبة مواهبهم لها .

روى البخاري في التاريخ الكبير بسنده إلى زيد بن ثابت أنه أتني به النبي ﷺ عند مقدمه المدينة فأعجب به فقليل : هذا غلام من بني النجار قد قرأ عليك بضع عشرة سورة ، فاستقرأني فقرأت وقال : تعلم لي كتاب يهود فإني ما آمن يهود على كتابي ، فتعلمته في نصف شهر ^(٤) . ويدل على حرص الأسر الأنصارية على ربط أبنائها بالقيادة النبوية ؛ ما ورد أن عشرين شاباً من الأنصار يلزمون رسول الله ﷺ لحوائجه ، فإذا أراد أمراً

(١) مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب الآداب ، باب استحباب تحنيك المولود ، ج٣ ، ص ١٦٩٢ .

(٢) أنظر ابن حجر : الإصابة ، ج٣ ، ص ٣٧ .

(٣) مثل عبد الرحمن بن أسعد وعبد الرحمن بن حسان ، أنظر ابن حجر : الإصابة ، ج٢ ، ص ٣٠٩ ، ج٢ ، ص ٦٧ .

(٤) التاريخ الكبير ، مج٢ ، ج٢ ، ص ٢٨١ .

بعثهم فيه^(١) .

ولقد كانت الأسر تربي أبناءها على القيام بشرائع الإسلام وأداء العبادات المفروضة رغم أن بعضها قد يشق على الأبناء القيام به كالصيام، تقول الرُّبيع بنت معوذ : كنا نُصُومُ صبياننا ونذهبُ إلى المسجد فنجعل لهم اللعب من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك وفي رواية (فإذا سألونا عن الطعام أعطيناهم اللعبة تلهيهم ، حتى يتموا صومهم ، وما ذاك إلا لتمرين أولئك الصبيان على الصيام)^(٢) .

كذلك غرست الأسر الأنصارية في الأبناء محبة النبي ﷺ؛ يروى أن عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر بن عبد الله الأنصاري وصى ابنه ببعض الوصايا ، ومنها التذكير بمكانة النبي ﷺ عنده^(٣) . ويدل بحث الغلامين الأنصاريين اللذين كانا بجوار عبد الرحمن بن عوف أثناء صف المسلمين للقتال في بدر . يدل بحثهما عن أبي جهل . لأنه يسب

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ٧٣٣ ، ومن شباب الأنصار الذين خدموا رسول الله ﷺ أنس بن مالك وقيس بن سعد بن عباد ، انظر ابن حجر الإصابة : ج ١ ، ص ٧١ ، والحاكم النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين ، ج ٤ ، ص ٢٩٠ ، كتاب الأدب .

(٢) انظر البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب الصوم ، باب صوم الصبيان ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ .

(٣) انظر الحاكم النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين ، كتاب معرفة الصحابة ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ .

الرسول ﷺ^(١) . على حقيقة أن الأسر كانت تفرس في أبنائها محبة النبي ﷺ ، وربما استعرضت مع الأبناء شيئاً من أحواله مع قومه في مكة ، ولذلك لا غرابة أن نجد الولدان والصبيان عام الهجرة في مقدمة المرحبين برسول الله ﷺ ، فكانوا يسعون في الطرق ويقولون : جاء رسول الله ، جاء رسول الله ﷺ^(٢) .

ويؤثر عن بعض الآباء الأنصاريين وصايا موجهة نحو أبنائهم تعكس حرصهم على أن يتحلوا بمقومات الإيمان ، وتمثل القيم الفاضلة ، والأخلاق النبيلة . يقول عبادة بن الصامت لابنه : (يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطاك لم يكن ليصيبك)^(٣) .

ويقول عمير بن حبيب الأنصاري الخطمي موصياً أبنائه : (أي بني إياكم ومجالسة السفهاء فإن مجالستهم داء وإنه من يحلم عن السفه يسر بحلمه ومن يجبه لا يندم .. وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطن نفسه قبل ذلك الأذى وليوقن بالثواب)^(٤) .

ولقد كانت الظروف والأجواء المحيطة بالأسر الأنصارية عوامل مشجعة وداعمة لجهودها في تربية أبنائها ، وفي مقدمة ذلك وجود النبي

(١) انظر مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب الجهاد والسير ، باب استحقاق القاتل سلب القتل ، ج٣ ، ص ١٣٧٢ .

(٢) البيهقي : دلائل النبوة ، ج٢ ، ص ٥٠٥ .

(٣) انظر: أبو داود : السنن ، كتاب السنة ، باب في القدر ، ج٤ ، ص ٢٢٥ .

(٤) ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٤ ، ص ١٤٢ .

ﷺ بين الأنصار وما يستتبع ذلك من لقاءات وزيارات نبوية لتلك الأسر ، يتحقق من خلالها اطلاعها ووقوفها على هدي النبي ﷺ في كثير من المسائل والقضايا ورؤية الأبناء للرسول ﷺ واستماعهم إلى توجيهاته .

وتعد مجاورة فئة المهاجرين لإخوانهم الأنصار ومؤاخذتهم لهم من العوامل الداعمة لمسيرة الأسر الأنصارية وهي تربي أبنائها ، فالمهاجرون الأوائل أهل سابقة في الإسلام وقد نهلوا من معين التربية النبوية ، وفيهم عناصر مؤثرة كأبي بكر الصديق^(١) وأبي عبيدة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم ، ومثل هؤلاء وغيرهم سيكون لوجودهم تأثيره الذي لا ينكر في المحال والدور التي سكنوها .

إن تربية الأسر لأبنائها ومعاملتها لهم بالسوية وبعين الرحمة والعطف مما أكدته الإسلام ، ومما جعله رسول الله موضع عنايته ، فقد ورد عنه ﷺ التنبيه إلى بعض الممارسات التي ينجم عنها بعض العواقب غير المرضية ومن ذلك حَصُّ بعض الأبناء بعتية دون بعضهم فعندما حَصَّ بشير بن سعد أحد أبنائه بعتية وأتى النبي ﷺ ليشهده ، قال أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال : لا ، قال : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ، وفي رواية أن النبي ﷺ قال لبشير بن سعد والد النعمان : لا تشهدني إذاً فإنني لا أشهد

(١) خشي المشركون في مكة أن يؤثر أبو بكر الصديق رضي الله عنه على نساءهم وأبنائهم ذلك أنه كان يصلي بفناء داره ويقرأ القرآن فيقذف عليه نساء المشركين وأبنائهم وهم يعجبون منه .. فأفزع ذلك أشراف قريش ، البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ ، ج ٤ ، ص ٢٥٤ ، وقد كان ذلك بعدما أجاره ابن الدغنة ، وهذه الرواية تدل على ما يتميز به الصديق من شخصية مؤثرة وقبول في المحيط العشائري والأسري .

على جور^(١) ، ويعكس ذلك حرص النبي ﷺ على أن تسود الألفة والمحبة بيوت المسلمين وأن تسلم الحياة الأسرية من الأحقاد والتباغض .

وعندما يكون هناك آباء أو أمهات بحاجة إلى الرعاية وفي الوقت نفسه هناك واجبات يرى الأبناء أولويتها كالجهد : نجد أن المصطفى ﷺ يرشد الأبناء إلى الموقف الأولى بالتقديم ، فلقد طلب رسول الله ﷺ من أبي أمامة بن ثعلبة الأنصاري البقاء بجانب أمه وعدم الخروج إلى بدر^(٢) .

ولقد عمق الإسلام في الأبناء مفهوم البر بالآباء والأمهات ، وفي ظل ذلك اشتهر أبناء كثيرون ببرهم والديهم ، مثل حارثة بن النعمان الأنصاري^(٣) ، وقد روى عن الرسول (قوله : (دخلت الجنة فسمعت قراءة حارثة بن النعمان فقال رسول الله ﷺ : كذلكم البر) وكان حارثة براً بأمه^(٤) .

ولئن وجد في المدينة منافقون رافضون لتعاليم الإسلام ومنهم بعض الآباء ممن لهم نفوذ سابق في المدينة، فإن أبناءهم المسلمين ظلوا قائمين بواجب البر ومصاحبتهم بالمعروف مع المعاملة الكريمة ، فلهم حق الإحسان

(١) انظر البخاري : الصحيح مع الفتح الباري ، كتاب الهبة ، باب الإشهاد في الهبة ، ج ٥ ، ص ٢١١ .

(٢) انظر ابن الأثير : أسد الغابة ، ج ٥ ، ص ١٣٩ .

(٣) حارثة بن النعمان بن نفيع بن زيد النجاري الأنصاري ، ذكره موسى بن عقبة وابن سعد فيمن شهد بدرًا ، ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ١ ، ص ٨٩٢ .

(٤) البغوي ، شرح السنة ، كتاب البر والصلة ، باب بر الوالدين ، ج ٦ ، ص ٤٢٦ ، ابن حجر : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩٨٢ .

والرعاية ، لا الاتباع والانقياد خير مثال على ذلك موقف عبد الله بن عبد الله بن أبي^(١) بعد أن حاول أبوه إثارة الفتنة في المريسيع والغض من شأن النبي ﷺ^(٢) ، عند ذلك جاء عبد الله إلى رسول الله وقال : يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل أبي ؛ لما بلغك عنه ، فإن كنت لابد فاعلاً ، فمُرني به فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ، ما كان لها من رجل أبرّ بوالده مني وإنني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر ، فأدخل النار ، فقال رسول الله ﷺ : (بل نترفق به ونُحسنُ صحبته ما بقى معنا)^(٣) . وبلغ من بره بأبيه أن دعا النبي ﷺ إلى جنازة أبيه ، روى الشعبي أنه قال للنبي ﷺ : (إن أبي قد احتضر فأحب أن تشهده وتصلي عليه)^(٤) .

إن عبد الله بن عبد الله بن أبي لم يتأثر بمنهج والده بل بالأسر الأنصارية التي احتضنت الدعوة وبالجو الإيماني الذي غمر المجتمع المدني.

(١) عبد الله بن عبد الله بن أبي مالك بن سلول ، وكان اسمه الحباب فسماه النبي ﷺ عبد الله شهد بدماءً وأحدًا ، والمشاهد ، استشهد باليمامة في قتال الردة سنة اثنتي عشرة ، ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ١ ، ص ٣٣٥-٣٣٦ .

(٢) من ذلك قوله : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، أنظر ، البخاري الجامع الصحيح ، كتاب تفسير القرآن سورة المنافقين ، ج ٦ ، ص ٦٣-٦٤ .

(٣) ابن هشام : سيرة النبي ، ج ٣ ، ص ٣٣٧ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، مج ٦ ، ج ٦ ، ص ١٢٨ .

ومع إمعان والده في النفاق ، إلا أنه ظل قائماً بواجب البر تجاه أبيه وفي الوقت نفسه ظل على ارتباطه بالقيادة النبوية رافضاً لمنهج والده المعارض لتلك القيادة .

الأسر الأنصارية والتحديات :

لقد أشاع الإسلام في المدينة النبوية جواً من السكينة والطمأنينة داخل الأسر ، وسن قواعد وأحكاماً كان لها أثرها في حماية الأسرة من المؤثرات الموهنة لبنائها ، واحتواء جزءٍ من المشكلات الواقعة داخل الأسر أو التخفيف من وطأتها إذا واجهت إلخ

إذا واجهت بعض الأسر مشكلات معيشية ومادية ومشكلات كانت انعكاساً للواقع الجاهلي القديم الذي تُدرج في إزالته وإحلال الأحكام الشرعية محله ، وعلى أي حال فعند استعراضنا لمسيرة الأسر الأنصارية بعد الهجرة وواقعها الاجتماعي نجد أن من أبرز المشكلات ما يلي :

١- في بداية العهد النبوي ظهرت مشكلات هي في حقيقتها انعكاس لما كان سائداً في الجاهلية من عادات مألوفة لم ينزل بها وحيٌّ آنذاك بحكم أن التنزيل جاء منجماً بحكم التدرج في إبطال سنن الجاهلية .

ومن ذلك حرمان الزوجة والأبناء من الميراث ، فمن الأسر التي ظهرت معاناتها من ذلك أسرة أوس بن ثابت حيث حاز بنو عمه ماله كله دون

بناته فرفع ذلك إلى النبي ﷺ^(١).

وذكر الطبري بسنده عن عكرمة في تفسير قوله تعالى : ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء : ٧] . أن أم كجة^(٢) الأنصارية قالت لرسول الله ﷺ: توفي زوجي وتركني وابنته فلم نورث فقال عم ولدها: يا رسول الله لا تركبُ فرساً ولا تحمل كلاً ولا تنكأ عدواً ويكسب عليها ولا تكتسب ، فنزل قوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ [النساء : ٧]^(٣) ، كذلك جاء في بعض الروايات أن امرأة سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه جاءت بابنتها من سعد فقالت : يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك شهيداً يوم أحد وإن عمهما أخذ مالهما استفاء ولم يترك لهما مالاً ، ولا تتكحان إلا ولهما مال^(٤).

وكان من عوائد الجاهلية أن يرث الرجل امرأة ذي قرابته فيعضلها حتى تموت أو ترد إليه صداقها .
وروى الطبري عن التيمي عن أبي مجلز أن الأنصار كانوا يفعلون ذلك كان الرجل إذا مات حميمه ورث حميمه امرأته ، فيكون أولى بها من

(١) ابن حبيب : المحبر ، ص ٣٥٢ .

(٢) أنظر ترجمة أم كجة الأنصارية عند ابن الأثير أسد الغابة ، ٦١١/٥ .

(٣) الطبري جامع البيان ، مج ١ ، ج ٤ ، ص ١٧٦ ،

(٤) انظر البيهقي : السنن الكبرى ، كتاب الفرائض ، باب من قال بتوريث ذوي الأرحام ، ج ٦ ، ص ٢١٦ .

نفسها . وفي رواية أخرى أن أهل يثرب كانوا يتوارثون المرأة إذا مات زوجها فيرث الابن امرأة أبيه فإن أحب أن يتخذها اتخذها كما كان أبوه يتخذها وإن كره فارقها وإن كان صغيراً حبست عليه حتى يكبر^(١) . وقد وقعت هذه المشكلة لكبشه بنت معن بن عاصم ، ولما رفع أمرها إلى النبي ﷺ نزلت الآية : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [النساء : ٢٢]^(٢) ، فهي أول امرأة حرمت على ابن زوجها .

٢- أثرت الغزوات على تركيب بعض الأسر ، وأوضاعها ؛ لاستشهاد العديد من الأزواج والآباء والأبناء ، وما ترتب على ذلك ترميل النساء وتيتم الأولاد . لقد بلغ قتلى الأنصار في أحد ما يزيد على الستين^(٣) ، وفي بئر معونة قُتل القراء السبعون (كما في بعض الروايات)^(٤) وجلهم من الأنصار^(٥) ، وفي بدر قتل من الأنصار ثمانية نفر^(٦) .

(١) انظر : جامع البيان ، ج٤ ، ص ٢٠٨ .

(٢) ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ١٦٢/٤ .

(٣) انظر ابن هشام ، سيرة النبي ﷺ ، ج٣ ، ص ٧٥-٨٠ .

(٤) البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب المغازي ، باب من قتل من المسلمين ٣٨/٥ ، في الصحيح أن القراء كانوا سبعين رجلاً وعند ابن إسحاق أربعين ، ابن هشام ، سيرة النبي ﷺ ، ١٨٥/٣ .

(٥) انظر البيهقي : دلائل النبوة ، ج٣ ، ص ٢٧٧ ، ويفهم من رواية سعيد بن المسيب أن القتلى السبعون من الأنصار لكن هناك روايات تؤكد مشاركة بعض المهاجرين كعامر بن أبي فهيرة رضي الله عنه ، انظر البيهقي : المصدر نفسه ، ٢٧٧/٣ ، ٣٥٢ .

(٦) البيهقي : دلائل النبوة ، ج٣ ، ص ١٢٢ .

لقد قابلت تلك الأسر مصيبتها بالصبر وبمعنويات عالية مستذكرة ما أعد الله للمجاهدين والشهداء من المنازل والدرجات في الدار الآخرة، كما أن المجتمع الإسلامي- وقد تشرب قيم الإسلام -أولى رعاية الأيتام والسعي على الأرامل عنايته ؛ استجابة لما ورد في فضل رعاية هاتين الفئتين^(١).

ومما يعبر عن التطبيق لهذه الوصايا ما روي أن أسيد بن حضير الأنصاري رضي الله عنه ذكر للنبي ﷺ أهل بيت من الأنصار من بني ظفر^(٢) فيهم حاجة وُجِّلَ أهل تلك البيوت من النسوة ، ويفهم من الرواية أن أولئك ممن ترمطن بفقد أزواجهن وأوليائهن^(٣) .

وواسى رسول الله جابر بن عبد الله ، الذي فقد أباه في أحد وقد خلف وراءه مجموعة من البنات^(٤) ، فقد اشترى جملة الضعيف بثمن طيب ثم رد عليه الجمل، وعندما طالبه غرماء والده بدينهم من التمر

(١) من ذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : (أنا وكافل اليتيم في الجنة) و (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وكالذي يصوم النهار ويقوم بالليل) انظر البخاري ، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب ، باب فضل من يعول يتيماً وباب الساعي على الأرملة ، ج٧ ، ص٧٦-٧٧ .

(٢) من بطون الأوس ، أنظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص٢٩٨ .

(٣) الحاكم النيسابوري : المستدرک ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر فضائل الأنصار ، ج٤ ، ص٧٩ .

(٤) ورد في بعض الروايات أنهن تسع وفي روايات أخرى أنهن سبع ، انظر ابن حجر : فتح الباري ، ج٩ ، ص١٢٢ .

ولا يكفي لسداده تمر نخيل جابر^(١) شكى ذلك إلى النبي ﷺ فجاء إليه ودعا بالبركة في التمر حتى كثر وحصل به وفاء الدين^(٢).

٣- ومن المشكلات التي مرت بها بعض الأسر : الفقر الشديد ، فلئن كانت هناك أسر موسرة ذات إمكانيات مادية جيدة مثل أسرة سعد بن عباد^(٣) وأبي طلحة الأنصاري^(٤) وأبي الدحداح^(٥) وعاصم بن عدي^(٦)، فإن هناك أسراً عانت من الفقر الشديد ، إما بسبب موت قيّمها ، أو عجزه عن التكسب وقلة ما لديه من مال ، مع ما تعرضت له المدينة في بعض الأحيان من ندرة في الأقوات وعدم توفر الغذاء الكافي لسد حاجة الأسر ، فمن السنوات المجذبة سنة (٩) وهي سنة العُسرة ، يقول عنها ابن إسحق : (إن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وذلك في زمان عُسرة من الناس وشدة من الحر وجذب من البلاد)^(٧) .

(١) انظر البيهقي : دلائل النبوة ، ج٢ ، ص ٣٨٢ .

(٢) انظر ابن حجر : فتح الباري ، ج٦ ، ص ٥٩٥، ٥٩٣، ٥٨٧ .

(٣) انظر ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج٢ ، ص ٣٠ .

(٤) جاء في صحيح مسلم (كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالاً) رقم الحديث ٩٩٨ ، كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين ، ج٢ ، ص ٦٩٣ .

(٥) كان له حائط فيه (٦٠٠) نخلة ، انظر ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ١/ ٢٨٣ .

(٦) قدم لجيش العشرة مائة وسق من التمر ، انظر : ابن هشام ، ٤/ ٢١٠ .

(٧) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ج٤ ، ص ١٦٩ .

ومن الأسر التي عانت من الفقر والحاجة أسرة أبي سعيد الخدري ، يروى عنه أن أمه وهي أنيسة بنت عمرو ^(١) ، أرسلته إلى النبي (جراء حاجة شديدة وكان أبوه قد استشهد يوم أحد وتركهم بغير مال ^(٢) . وعانت أسر البكائيين ^(٣) - ومنهم بعض الأنصار - من الفقر الشديد وكذلك أهل الصفة ومنهم أنصاريون من الأوس والخزرج ^(٤) .. وكانت تلك الأسر محل عناية النبي ﷺ وأصحابه الموسرين .

ومن مظاهر بؤس بعض الأسر ومعاناتها تراكم الديون على قيّم الأسرة مما يسبب له معاناة شديدة، ومن هؤلاء الصحابة أبو أمامة الأنصاري الذي لزمته الديون والهموم فجاء إلى المسجد في غير وقت الصلاة ، فلما دخل النبي ﷺ المسجد سأله : مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت الصلاة ؟ قال : هموم لزممتي وديون يا رسول الله ^(٥) .

(١) أنيسة بنت عمرو وهو أبو خارجة بن قيس من بني النجار ، تزوجها النعمان بن عامر ثم خلف عليها مالك بن سنان فولدت أبا سعيد والفريفة ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٨ ، ص ٤٢١ .

(٢) انظر النسائي : السنن ، كتاب الزكاة ، ج ٥ ، ص ٨٩ ، ابن حجر : فتح الباري ، ج ٣ ، ص ٣٣٦ .

(٣) ذكر ابن إسحق أنهم سبعة من الأنصار وغيرهم وقد جاءوا إلى النبي ﷺ وهو يستعد لغزوة تبوك وطلبوا من رسول الله راحل تحملهم وكانوا أهل حاجة فقال : (لا أجد ما أحملكم عليه) ، ف (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع) ، ابن هشام ، سيرة النبي ﷺ ، ج ٤ ، ص ٢١٧ .

(٤) انظر مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب الأشربة ، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره ، ج ٣ ، ص ١٦٢٧ .

(٥) أبو داود : السنن ، كتاب الزكاة ، ج ٢ ، ص ٩٣ .

وممن عانى ثقل الديون على كاهله ، معاذ بن جبل^(١) ، وجابرا بن عبد الله كما مر بنا .

ولقد عانت الأسر كثيراً من هم توفير الطعام لأبنائها ، ويُفهم من بعض الروايات أن الرجل ذا اليسار قد يَخُصُّ نفسه وضيوفه بالطعام الجيد من الدرّمك^(٢) . وأما العيال فإنما طعامهم التمر والشعير وهو طعام أغلب الناس بالمدينة ، وقد اشتكى بعض الأنصار من الاعتماد على التمر كمأكل ، روي أن أبا قيس صرمة بن أبي أنس أتى امرأته بتمر ، وقال استبدلي به طحيناً واجعليه سخيناً فإن التمر أحرق جوفي^(٣) .

ويمكن القول: إن مشكلة الغذاء واجهت المسلمين عامة في معظم الفترات فليست المشكلة تتعلق بأسرة دون أسرة ، ففي أثناء حصار المدينة عام الخندق قلّت الأطعمة وكان المسلمون يأكلون الشعير يوضع لهم بإهالة^(٤) سَنَخَة^(٥) متغيرة الريح وهي بشعة في الحلق ولها ريح

(١) البيهقي : السنن الكبرى ، كتاب التفليس ، باب الحجر على المفلس ، ج ٦ ، ص ٤٨ .

(٢) الدرّمك : هو الدقيق الحواري (الأبيض) ، انظر : أبو موسى محمد بن أبي بكر الأصفهاني : المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث ، تحقيق عبد الكريم العزباوي ، ج ١ ، ص ٦٥١-٦٥٢ .

(٣) ابن حجر : فتح الباري ، ج ٣ ، ص ١٣١ .

(٤) إهالة : الدهن الذي يؤتدم به سواء كان زيتاً أو سمناً أو شحمياً ، انظر ابن حجر : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٩٥ .

(٥) سَنَخَة : أي تغير طعمها ولونها من قدمها .

منكرة وكان الناس جياعا^(١) .

وقد اشتكى أحد الصحابة لرسول الله : أن التمر أحرق بطونهم ، وجاء في الرواية (والذي لا إله إلا هو لو قدرت لكم على الخبز واللحم لأطعمتكموه)^(٢) .

٤- ومن المشكلات التي واجهت بعض لأسر الأنصارية ، تفكك الأسرة نتيجة الفراق بين الزوجين ، لقد شرع الإسلام قواعد وسنناً لمعالجة الخلافات الزوجية ولحماية الأسر من التصدع والانحيار ، لكن من مسببات التصدع ما لا يمكن دفعه وتجاهله ، ومن هنا كان الطلاق حلاً لبعض المشكلات الواقعة داخل البيوت الأنصارية ، حيث وقعت عدة حالات ، منها ما وقع بإصرار من الزوجة لوجود أسباب تقتضي ذلك . جاء في الصحيح أن امرأة ثابت بن قيس جاءت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكنني لا أطيقه ، فقال رسول الله ﷺ : ترددين عليه حديقته ؟ قالت : نعم ، فردت عليه حديقته (أي بستانه لأنه تزوجها على حديقة نخل)^(٣) ، وأمره ﷺ ففارقها^(٤) .

(١) البيهقي : دلائل النبوة ، ج٣ ، ص٤١٢ ، ابن حجر : فتح الباري ، ج٧ ، ص٢٣٩ ، حديث رقم ٤١٠٠ .

(٢) الحاكم النيسابوري : المستدرک على الصحيحين ، كتاب الهجرة ، ج٣ ، ص١٥ ، البيهقي : السنن الكبرى ، كتاب الصلاة ، باب المسلم يبيت في المسجد ، ج٢ ، ص٤٤٥ .

(٣) ابن حجر : المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٤٠ .

(٤) انظر البخاري : الجامع الصحيح ، باب الخلع وكيف الطلاق فيه ، ج٦ ، ص١٧٠ ، ابن حجر : فتح الباري ، ج٩ ، ص٣٩٥ .

وقد وردت عدة روايات ومنها يتبين أن امرأتين لثابت بن قيس طلبتا مخالغته ورفغتا أمرهما إلى رسول الله وهما جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول^(١) وحبببة بنت سهل^(٢) . بل إن بعض الروايات تُضيف امرأة ثالثة هي مريم المغالية^(٣) .

وروى البيهقي أن حبببة بنت سهل قالت لرسول الله ﷺ : لا أنا ولا ثابت وفي رواية هذا : مقام العائذ بك من ثابت بن قيس . قال ومن أنت؟ قالت : حبببة بنت سهل ، قال : ما شأنك ؟ تربت يداك قالت : ضربني ، فدعا رسول الله ﷺ ثابتاً فذكر ثابت ما بينهما فقال له النبي ﷺ ؟ فماذا أعطيتها قال : قطعتين من نخل أو حديقتين ، قال : فهل لك أن تأخذ بعض ما لك وتترك لها بعضه ؟ ، قال : هل يصلح ذلك يا رسول الله ، قال : نعم ، فأخذ إحداهما ففارقها ثم تزوجها أبي بن كعب^(٤) . لقد وقعت

(١) جميلة بنت عبد الله بن أبي تزوجها حنظلة بن أبي عامر فقتل عنها يوم أحد شهيداً ثم خلفه عليها ثابت بن قيس فولدت له محمداً ثم خلف عليها مالك بن الدخشم ثم خلف عليها خبيب بن يساف ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٣٨٣ .

(٢) حبببة بنت سهل بن ثعلبة من بني النجار ، تزوجها ثابت بن قيس بن شماس ثم اختلعت منه بما اعطاها ، أنظر ابن سعد ، المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٤٤٥ .

(٣) أنظر ما ذكره ابن حجر حول مريم المغالية واحتمال أن يكون هناك وهم في الاسم فيكون (مريم) اسماً آخر لجميلة بنت عبد الله يقول ابن حجر : (إذا كان عبد الله بن أبي من بني مغالة فيكون الوهم وقع في اسمها أو يكون مريم اسماً ثالثاً) ، فتح الباري ، ج٩ ، ص٣٩٩ .

(٤) السنن الكبرى ، كتاب الخلع والطلاق ، باب الرجل ينالها بضرب ، ج٧ ، ص٣١٥ .

مشكلات كادت تؤدي إلى تفكك الأسر التي وقعت فيها تلك المشكلات ومن ذلك ظهار أوس بن الصامت^(١) ، وسلمة بن صخر البياضي^(٢) لامرأتيهما .

كما أن هناك مشكلات كادت تؤدي إلى طلاق بائن بين الزوجين، مثلما حصل بين رافع بن خديج وبنت محمد بن سلمة عندما أثر عليها زوجته الأخرى؛ فناشدته الطلاق ، وبعد أن طلقها مرتين وفي كل مرة يراجعها- رأت أن تستقر عنده مع الصبر على الأثرة^(٣) .

وحيث لا تخلو الحياة من المشكلات والخلافات بين الزوجين فإنَّ معظم المشكلات جرى احتواؤها وحلها في إطار التشريع الإسلامي ، كما أن هناك مشكلات أخرى قليلة ونادرة ، انتهت بانفصال الزوجين ،ومن ذلك ما حدث في مسألة اللعان^(٤) . وما جاءت هذه المشكلات إلا لتؤكد البعد الواقعي في التشريع الإسلامي وإحاطته بدقائق الحياة البشرية .

ولم تشهد الأسر الأنصارية بعد انتشار الإسلام في المدينة صراعات داخل الأسرة بسبب اختلاف المعتقد ناتجة عن محاولة أتباع المعتقد المغلوب الحد من انتشار الدعوة داخل البيوت مثلما حصل في مكة حيث عانى بعض الصحابة رضي الله عنهم من اضطهاد أقاربهم وجفوتهم جراء

(١) انظر ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٣٧٨-٣٧٩ .

(٢) انظر ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٣٧٨-٣٧٩ .

(٣) انظر الإمام مالك : : الموطأ ، كتاب النكاح ، ج٢ ، ص٣٧٣ .

(٤) انظر البخاري ، الجامع الصحيح ، كتاب الطلاق ، باب اللعان ، ج٦ ، ص١٧٨-١٧٩ . وراجع كتاب ابن حجر : فتح الباري ، ج٩ ، ص٤٤٧-٤٤٨ .

إسلامهم ، مثل مصعب بن عمير ، وخالد بن سعيد بن العاص^(١) ، لكن وجدت حالات قليلة في بداية انتشار الإسلام في المدينة قبيل الهجرة ظهر فيها بعض من أسلموا وهم يتعرضون للإيذاء والمضايقة، ومثال ذلك حواء بنت يزيد بن السكن حيث تذكر الروايات أن زوجها - وكان على كفره - يدخل عليها وهي تصلي فيؤذيها . ولما قدم ذلك الزوج وهو قيس بن عبيد ابن الخطيم في رهط من مشركي قومه حُجَّاجاً نهاه رسول الله ﷺ عن ذلك . فلما رجع قيس إلى المدينة ذكر ذلك لامرأته وقال : فشأنك بدينك فوالله ما رأيته إلا حسن الوجه حسن الهيئة^(٢) .

ومن الحالات القليلة التي يتضح فيها وجود اختلاف بين الزوج وزوجته في المعتقد ما ورد في بعض المصادر أن زوجة رافع بن سنان الأوسي أبت الإسلام ، وفي الحديث ما يفيد أنهما اختصما في أمر حضانة البنت^(٣) . وكذلك ورد أن أميمة بنت بشر الأنصارية كانت تحت حسان بن الدحاحة فنفرت منه وهو كافر ، وقد زوجها النبي ﷺ من سهل بن حنيف^(٤) .

لقد وجدت معارضة للدعوة في المدينة من قبل المنافقين ومن قبل بعض المتمسكين بشركهم، ومن أولئك بعض النسوة وأبرزهن عصماء بنت

(١) انظر ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٢ ، ص٨٣ ، ج٤ ، ص٣٦٩ .

(٢) انظر البيهقي : دلائل النبوة ، ج٢ ، ص٤٥٥-٤٥٦ .

(٣) الحاكم النيسابوري : المستدرک على الصحيحين ، كتاب لطلاق ، ج٢ ، ص٢٠٦-٢٠٧ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، مج١٢ ، ج٢٨ ، ص٤٧ .

مروان من بني أمية بن زيد التي حرّضت على النبي ﷺ ومما قالته :

أَطَعْتُمْ أَتَاوِيَّ مِنْ غَيْرِكُمْ فلا من مرادٍ ولا مذحج^(١)

لكن تلك المعارضة لم يكن لها صدى عند أغلب الأسر الأوسية والخزرجية .. فقد رفضت تلك الأسر دعاة المحلية الضيقة الذين حاولوا نشر الفتنة وإيقاف تطبيق الأسرة لتعاليم الإسلام .

الأسرة الأنصارية في ظل القيادة الاجتماعية الجديدة :

إثر الهجرة النبوية إلى المدينة يدخل تاريخ الأسرة الأوسية والخزرجية مرحلة جديدة لها سماتها الثقافية والسلوكية ، لقد تحقق للأسرة قيام مجتمع مسلم يُرتب على (الأسر) العديد من المسؤوليات والمهام ، ويُعلي من شأنها ويؤكد على تأسيسها على التقوى والصلاح .

ويقود ذلك المجتمع النبي ﷺ بماله من وظائف تبليغية وتربوية وما لشخصيته من تأثير معنوي ، ولئن كانت الأسر الأوسية والخزرجية قبل الهجرة مرتبطة بقيادات قبلية تتسم بضيق الأفق والتعصب القبلي ، فقد تغير ذلك حيث رضيت تلك الأسر برسول الله ﷺ حكماً وموجهاً ، ترجع إليه في شؤونها لأن ذلك من مقتضيات الإيمان . ولئن كانت الأسر قبل الهجرة تقدم الولاء والطاعة للزعامات القبلية فقد تغير ذلك فلم تعد الأسرة الأوسية والخزرجية التي دخلت في الإسلام ، تسير في فلك عشائر

(١) أنظر الواقدي : المغازي ، ج٢ ، ص١٧٢ .

وقبائل ترفع شعارات متعصبة تفرضها على الأسر والأفراد ، فقد كانت القبيلة باعتبارها الإطار الاجتماعي والسياسي الذي يضم الأسر- تفرض التزامات وأعرافاً ومواقف على الأسر ربما لا تكون في مصلحتها مثلما فرضت زعامة القبيلة في مكة على الأسر معارضة الدعوة^(١).

لقد أقام النبي ﷺ مجتمعاً مسلماً أصبح للأسرة فيه شأن كبير حيث أنيط بها القيام بواجبات تربية وتنشئة تجعلها ذلك المجتمع من الأولويات.

إن وجود النبي ﷺ بين ظهرائي الأسر الأنصارية كان له انعكاساته الإيجابية على مسيرتها وهي تمارس حياتها العادية وتقوم بوظائفها ، فإن وجود النبي ﷺ بالقرب من هذه الأسر واختلاطه المباشر بأفرادها جعل سلوكيات مجتمع الأسرة الأنصارية محل التقويم المباشر من جانب النبي ﷺ. وفي السطور الآتية نلقي بعض الأضواء المبينة لأثر وجود النبي ﷺ بين الأنصار ومعايشته لهم على أوضاع الأسرة الأنصارية وقضاياها .

حل المشكلات الأسرية :

ودور النبي ﷺ في حل كثير من المشكلات التي تواجه الأسر مما

(١) تميز مجتمع المدينة عن مجتمع مكة في عصر الرسالة ، بأن جزءاً من زعماء العشائر كانوا سبباً في إسلام عشائرتهم حيث صار لإسلامهم أثر على الأسر التابعة لهم ، كسعد بن معاذ رضي الله عنه فإنه لما أسلم قال لقومه : (إن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله) . يقول الراوي : والله ما أمسي في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة . انظر ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ج ٢ ، ص ٤٥ .

أفاضت في ذكره المصادر والمراجع ، ومن تلك المشكلات ما يقع بين الزوجين من مثل ظهار أوس بن الصامت لزوجته وهي ثعلبة بنت خولة الأنصارية حيث جاءت تلك الزوجة إلى النبي ﷺ لما قال لها زوجها : أنت علي كظهر أمي ، فيذكر ابن سعد أنها قصت أمرها وأمر زوجها على رسول الله ، فأرسل النبي ﷺ إلى أوس بن الصامت فقال رسول الله : ماذا تقول ابنة عمك ؟ فقال : صدقت ، قد تظهرت منها وجعلتها كظهر أمي فما تأمر يا رسول الله في ذلك ؟ فقال رسول الله : لا تدن منها ولا تدخل عليها حتى آذن لك ، قالت خولة : يا رسول الله ما له من شيء وما ينفق عليه إلا أنا ، وكان بينهم كلام ساعة ثم أنزل الله القرآن ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ [المجادلة : ١] ^(١) .

ومن المشكلات التي رفعت إلى النبي ﷺ ما وقع لخنساء بنت خدام عندما كرهت الرجل الذي زوجها أبوها؛ فرد النبي ذلك النكاح، وقد مر بنا الإشارة إلى ذلك في موضع سابق . وقد ورد عند ابن سعد أن خنساء بنت خدام كانت تحت أنيس بن قتادة الأنصاري فقتل عنها يوم أحد ، فأنكحها أبوها رجلاً فأتت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله إن أبي أنكحني وإن عم ولدي أحب إلي . قال : فجعل النبي ﷺ أمرها إليها ^(٢) .

وقد تناولنا في الفقرة السابقة مجموعة من المشكلات الأسرية مثل

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٨ ، ص ٣٧٨ .

(٢) ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٤٥٦-٤٥٧ . ويلاحظ أنه ورد عند ابن سعد وكذلك في الجامع الصحيح (خدام) بالذال في حين ورد في فتح الباري (خدام) بالذال المهملة أنظر : الطبقات الكبرى ج ٦ ، ص ٦٥٤ ، البخاري : الجامع الصحيح ، استنبول ، المكتبة الإسلامية ، ج ٦ ، ص ١٣٥ ، ابن حجر : فتح الباري ، ج ٩ ، ص ٩٤ .

نشوز جميلة بنت أبي على زوجها ثابت بن قيس^(١) وكذلك حبيبة بنت سهل الأنصارية التي رفعت أمرها مع زوجها للنبي ﷺ^(٢)، وحيث لا تخلو الحياة الأسرية من ظواهر سلبية فإن من المشكلات الزوجية التي عرضت على النبي قذف أحد الأنصار امرأته فأحلفها النبي ﷺ ثم فرق بينهما^(٣) بعد نزول الآيات^(٤) بشأن هذه المسألة . ولا يخفى أن هذه المشكلة لا تقدر بما كانت عليه الحياة الأسرية في العهد النبوي من صفاء وطهارة وعفة ، وبحكم فهم الأسر لدور النبي ﷺ ومهامه التربوية ؛ فقد كانت الأسر تتقل إليه ما تعاني منه من مؤرقات وهموم وما يعانيه بعض أفرادها من ضعف ، فقد رجع إليه جابر بن عبد الله لما اشتدت مطالبة الغرماء بدين والده . ورفع إليه أهل الصحابي (حبان بن منقذ) أنه يُخدع في البيوع لضعفه^(٥) . واشتكت امرأة من الأنصار للنبي ﷺ ما حدث لأسرتها بعد نزولهم داراً لهم^(٦) .

-
- (١) انظر البيهقي : السنن الكبرى ، كتاب الخلع والطلاق ، باب الوجه الذي تحل به الفدية ، ج ٧ ، ص ٣١٤ .
- (٢) انظر مالك : الموطأ ، كتاب النكاح ، ص ٣٨٤-٣٨٥ .
- (٣) البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب الطلاق ، باب اللعان ، ج ٦ ، ص ١٧٨-١٧٩ ، للمزيد انظر : ابن حجر : فتح الباري ، ج ٩ ، ص ١٩٥ .
- (٤) أنظر : سورة النور ، الآيات ٥-١٠ .
- (٥) انظر ابن الأثير : أسد الغابة ، ج ١ ، ص ٣٦٥ ، ابن حجر : فتح الباري ، ج ٤ ، ص ٣٣٨ .
- (٦) السنن ٨/١٤٠ ، والخبر مرسل ، وقد أمرهم رسول الله بالتحول عنها ؛ ابطالاً لما وقع في نفوسهم من الوهم فإذا تحولوا عنها انقطعت مادة ذلك الوهم ، البيهقي : السنن ، كتاب القسامة ، باب العيافة والطيرة والطرق ، ج ٨ ، ص ١٤١ .

تقويمه سلوكيات الأسر وتسديده لتطبيقاتها للنصوص :

ومن صور تقويمه ﷺ لسلوكيات الأسر الأنصارية أنه دعاها للعدل بين الأولاد ونبه بشير بن سعد الأنصاري لهذه المسألة كما مر بنا^(١) . وحث من طلب من النبي ﷺ الأعطية على الاستغفار والاستغناء؛ يروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أمه سرحته إلى النبي ﷺ ليسأله من حاجة شديدة، قال : فأتيته وقعدت فاستقبلني فقال: من استغنى أغناه الله ومن استكفى كفاه الله ومن سأل وله أوقية فقد ألحف ، قال : أبو سعيد فقلت : ناقتي خيرٌ من أوقية فرجعت ولم أسأله^(٢) .

ومن نماذج تسديد النبي ﷺ لتطبيقات قيِّمي الأسر الأنصارية لما ينزل من القرآن أن النبي ﷺ طلب من أبي طلحة الأنصاري أن يجعل (بَيْرْحَا)^(٣) - لما تصدق بها - في أقاربه .

فقد ورد أن أبا طلحة الأنصاري (وكان أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل وكان أحب أمواله إليه بيرحا وكانت مستقبله المسجد فلما نزل قوله تعالى : ﴿لَنْ تَأْلَوْا الْبَرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران : ٩٢] قام إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول ﴿لَنْ تَأْلَوْا

(١) انظر مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب الهبات ، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة ، ج ٣ ، ص ١٢٤٣ .

(٢) النسائي أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ) سنن النسائي ، بيروت ، دار البشائر ، ١٩٠٩ هـ ، ج ٥ ، ص ٨٩ ، كتاب الزكاة ، باب الملحف ، حديث رقم (٢٥٩٥) .

(٣) بيرحا : قيل هي أرض لأبي طلحة وقيل موضع قرب المسجد ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٢٤ راجع : ابن حجر : فتح الباري ، ج ٢ ، ص ٣٢٦ .

الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴿١﴾ وإن أحب أموالي إليّ بيرحا وإنها صدقة أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله)، عند ذلك نجد أن النبي ﷺ يطلب منه أن يضعها في أقاربه، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه^(١). ولا يخفى أن في هذا التوجيه النبوي تدعيماً لقيمة صلة الرحم داخل الأسرة الكبرى ودفعاً لمظنة حدوث شقة وتباعد بين الأغنياء والفقراء داخل دائرة القرابة فلربما شعر الأقربون المحتاجون بالمرارة والأسى عندما يرون صدقات قريبهم الموسر تذهب إلى محتاجين خارج تلك الدائرة .

إزالة بعض العادات أو ترشيدها :

وفي إطار تغيير بعض العوائد الجاهلية ؛ غير النبي ﷺ بعض الأسماء الخشنة المجافية للذوق، حيث كان الجاهليون يسمون أبناءهم بأسماء من هذا القبيل^(٢) .

جاء في بعض المصادر أن سهل بن سعد كان اسمه (حزن) فغيره إلى سهل^(٣) ، وغير اسم عاصية بنت النعمان إلى جميلة ، وكذلك اسم عاصية بنت ثابت إلى جميلة أيضاً^(٤) ، وغير بعض الأسماء التي حملت تعبيداً لغير

(١) البخاري ، الجامع الصحيح ، ج٢ ، ص ١٢٦ .

(٢) يسمى العرب أبناءهم بأشد الأسماء ، ويقول في ذلك بعضهم إنا لنسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا (وكانوا يحسنون تسمية العبيد) انظر : الصالحي : سبل الهدى والرشاد ج١ ، ص ٣٢٦ .

(٣) ابن حجر : الإصابة ، ج٢ ، ص ٨٨ .

(٤) ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٥ ، ص ٤١٧ ، ٥٤٦ .

الله ، فغير اسم (عبد العزى بن جبر) إلى عبد الرحمن^(١) ، وعلى مستوى تسميات الأسر الكبيرة غير النبي ﷺ اسم (بني الصّماء) إلى بني السميعة وهم من الأوس^(٢) .

ومما كان سائداً في المحيط الأسري : البكاء والنياحة على الأموات ، وقد نهى النبي ﷺ عن النياحة بعد أحد ، روي أنه لما رجع رسول الله ﷺ من أحد سمع نساء الأنصار يبكين فقال : لكن حمزة لا بواكي له ، فبلغ ذلك نساء الأنصار فبكين حمزة ، فنام رسول الله ثم استيقظ وهنّ يبكين فقال : يا ويحهن ما زلن يبكين منذ اليوم فليسكنن ولا يبكين على هالك بعد اليوم^(٣) . ولقد انتشر بعد أحد البكاء والنواح على القتلى في بني عبد الأشهل ، وجاء نساء الأنصار يبكين حمزة ، فأمر النبي ﷺ بصرفهن ، روي أنه قال : (رحم الله الأنصار فإن المواساة منهم ما علمت لقديمة . مروهن فليصرفن)^(٤) .

ولقد أخذ النبي ﷺ على النساء في البيعة ألا يتحنن ، ويروى عن أم عطية الأنصارية أنه لم يف منهن إلا خمس نساء ، منهن أم سليم وأم العلاء^(٥) .

(١) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٨٣ .

(٢) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٣٢ .

(٣) الحاكم : المستدرك على الصحيحين ، كتاب الجنائز ، ج١ ، ص ٢٨١ .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج٣ ، ص ٥١ .

(٥) انظر : مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب الجنائز ، باب التشديد في النياحة ، ج٢ ، ص ٦٤٥ .

قال بعض العلماء : معنى الحديث أنه لم يف ممن بايع النبي ﷺ مع أم عطية في الوقت الذي بايعت فيه النسوة إلا المذكورات. لا أنه لم يترك النياحة من المسلمات غير خمسة^(١) . ومما كان سائداً عند الأوس والخزرج قبل الهجرة من العادات الرجوع إلى أهل الكتاب في بعض الشؤون الأسرية والعائلية ، ونذر بعض النسوة تهويد أولادهن إذا سلموا وعاشوا^(٢) .

وكان لوجود النبي ﷺ بالمدينة وتولييه إدارة سفينة المجتمع أثره في إنهاء الرجوع إلى اليهود الذين يدعون امتلاك مصادر المعرفة المتاحة في ذلك الوقت ، وكانت الأنصار قبل الهجرة ، يقتدون بكثير من فعلهم في بعض الأمور المنظمة للعلاقات الزوجية الخاصة .

روى أبو داود بسنده ، عن محمد بن إسحق عن ابن عباس أنه قال: كان الأنصار قبل الإسلام وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود أهل كتاب وكانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من أمر أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرف^(٣) وذلك أستر ما تكون

(١) راجع : ابن حجر : فتح الباري ، ج٣ ، ص١٧٧ ، ولقد جاء في مغازي الواقدي أن أم عمارة رضي الله عنها قالت : شهدت مأتم ابن أبي في السنة التاسعة ، فلم تتخلف عنه امرأة من الأوس والخزرج وأن جميلة بنت عبد الله بن أبي كانت تقول : واجبله واركنه .. فإن صح الخبر ففيه دلالة على استمرار عادة الندب والنياحة عند بعض الأسر ، راجع المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٥٨ .

(٢) انظر الطبري : جامع البيان ، مج٣ ، ج٣ ، ص١٠ .

(٣) أي على وجه واحد وعلى جانب وطرف ، راجع : الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، ص١٠٣٢-١٠٣٣ .

المرأة فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذ بذلك من فعلهم^(١) . كذلك جاء في بعض المصادر أن النسوة (من الأوس والخزرج) اللاتي يُصبن بفقد الأولاد وهلاكهم يجعلن على أنفسهن أن يهودن أو لادهن إن عاشوا^(٢) ، إن ذلك يعكس وجود قلق شديد عند النسوة ضاعفه عدم وجود قيادة روحية وفكرية مما أدى إلى فقدان الثقة والرجوع إلى أهل الكتاب . وبعد الهجرة توفرت لمجتمع المدينة قيادة فكرية وثقافية نجحت في بث الطمأنينة والرضا بأقدار الله داخل الأسرة وتزويد تلك الأسر بطاقة معنوية تمكنها من الصمود والمجاهدة ، لقد بلغ رسول الله نساء المسلمين في موعظته لهن، ما لوالدي الأطفال الصغار الذين يهلكون قبل البلوغ من التكريم يوم القيامة^(٣) ، وممن روى ذلك عن رسول الله الصحابييات الأنصاريات: أم سليم^(٤) وأم مبشر الأنصارية^(٥) وحبيبة بنت سهل^(٦) .

وورد في المستدرك أن امرأة من الأنصار مات ابنها وليس لها غيره وأنها جزعت عليه جزعاً شديداً فأأتاها النبي ﷺ فأمرها بتقوى الله

(١) السنن ، كتاب النكاح ، ج٢ ، ص ٢٤٩ .

(٢) الطبري : جامع البيان ، مج٣ ، ج٢ ، ص ١٠ . أنظر: أبو داود : السنن ، كتاب الجهاد ، باب الأسير يكره على الإسلام ، ج٣ ، ص ١١٨ .

(٣) انظر الحديث الذي أخرجه البخاري : ابن حجر : فتح الباري ، ج٣ ، ص ١١٨ ، حديث رقم ١٢٤٩ . وانظر ابن حجر ، المصدر نفسه ، ص ٢٤٤ باب ما قيل في أولاد المسلمين .

(٤) انظر ابن حجر : المصدر نفسه ، ص ١٢١ .

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص ٢٧١ .

(٦) انظر ابن حجر : الإصابة ، ج٤ ، ص ٢٧١ .

وبالصبر فقالت : يا رسول الله إني امرأة رقوب لا ألد ولم أكن لي غيره ، فقال: رسول الله ﷺ: الرقوب الذي يبقى ولدها ثم قال: ما من امرأة مسلمة يموت لها ثلاثة أولاد إلا أدخلها الله بهم الجنة. فقال عمر : يا رسول الله بأبي أنت وأمي واثنان ، قال : واثنان^(١) .

ولعل هذا الأجر والتكريم هو ما حدا بالصحابي سهل بن الحنظلية وكان عقيماً لا يولد له ، أن يتمنى أن يكون له سقط، حيث يروى عنه قوله : (لأن يكون لي سقط في الإسلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس)^(٢) .

ولقد كان انتقال النبي ﷺ إلى المدينة وقربه من الأسر الأنصارية من العوامل الفعالة المؤثرة المؤدية إلى ترسيخ القيم الإسلامية في مجتمع الأسر الأنصارية ورفع مستوى تمثلها للإسلام الحنيف . ومما دعم ذلك حكمة النبي ﷺ وتعهده المستمر للأفراد والأسر^(٣) ، وصلته العميقة بمختلف فئات المجتمع ، بما في ذلك الصبيان^(٤) والخدم^(٥) ، وفهمه وإدراكه

(١) الحاكم النيسابوري : المستدرک علی الصحیحین ، کتاب الجنائز ، ٢٨٤/١ .

(٢) انظر ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج٢ ، ص٥٩ ، وراجع البخاري: التاريخ الكبير ، مج٤ ، ج٢ ، ق٢ ، ص٩٨ .

(٣) ورد أنه ﷺ كان يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ، كما مر بنا ، انظر : البغوي ، شرح السنة ، كتاب الاستئذان ، باب التسليم على الصبيان ، ج٦ ، ص٣٥ .

(٤) انظر البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب الأدب ، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل ، ج٨ ، ص١١٩ .

(٥) انظر مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب الفضائل ، باب قرب النبي ﷺ من الناس ، ج٤ ، ص١٨١٢ .

لأبعاد الشخصية الإنسانية، وتدرج الشريعة التي جاء بها في نقل الناس من مألوف العادات إلى الأحكام الشرعية . وكان ولاء الأنصار رضي الله عنهم أولاً وطاعتهم للرسول ﷺ وإيمانهم به ؛ من العوامل التي يسرت مهمة النبي التعليمية والتربوية يساعد على ذلك ما اتسمت به الشخصية الأنصارية من صدق وشفافية ووضوح (فقد كانوا لا يكذبون)^(١) وعرفوا بالعفاف^(٢) والغيرة^(٣) وغير ذلك من السجايا الأخلاقية الفطرية التي جاءت متسقة مع شرع الله .

آثار الهجرة على حياة الأسر الأنصارية :

إن هجرة المسلمين وانتقالهم إلى المدينة ليس كأي حركة هجرة سكانية فغالباً ما يؤدي انتقال جماعات أو جاليات إلى مدن أو بلدان أهلة إلى مشكلات اجتماعية واقتصادية ، خاصة إذا لم يكن بيد أولئك المهاجرين أموال لفقرهم أو لأن بلدهم الذي قدموا منه قد حال بينهم وبين أموالهم ، وكذلك إذا كان هؤلاء المهاجرون ليس لديهم أي خبرة في أي مجال من مجالات الحياة الاقتصادية .

وتتميز هجرة المسلمين إلى المدينة بكونها مرتبطة برسالة ودعوة دينية

(١) البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب مناقب الأنصار ج٤ ، ص ١٢٢ .
الصالحى: سبيل الهدى والرشاد ، ٢٩/٣ .

(٢) انظر الصالحى : سبيل الهدى والرشاد ، ج٣ ، ص ٢٩ .

(٣) انظر ابن حبيب : المنق ، ص ٢٦٨ ، حيث جاء على لسان أحد زعماء قریش عن الأوس "إن في القوم حشمة" ويذكر ابن الأثير أن الأنصار فيهم غيرة شديدة ، الكامل في التاريخ ، ٦٧٧/١ .

آمن بها المهاجرون ومن استعد لاستقبالهم ، حيث انتقل النبي ﷺ وأصحابه إلى مجال بشري وجغرافي قد تهيأ لاستقبالهم بفارغ الصبر والشوق فلم يكن ثمة مجال لأي مشاعر قلقة على الوضع الاقتصادي من جانب الأسر الأنصارية، ولم يكن ثمة مخاوف من أولئك المهاجرين لاشتراكهم جميعاً في رابطة العقيدة والدين .

ولقد كان لهجرة النبي ﷺ واستقراره في المدينة العديد من النتائج والآثار في شتى المساحات والشئون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ؛ فلقد كانت الهجرة حدثاً تاريخياً صحبه وتلاه مجموعة من الحقائق التاريخية التي أثرت على واقع الأسر الأنصارية ، ومما تشمله تلك الحقائق: نزول المهاجرين في مساكن الأنصار، وانتقال قيادة المسلمين إلى المدينة ، وانتشار الإسلام بالمدينة النبوية .

وفيما يلي نتناول أبرز التأثيرات التي ترتبت على حركة الهجرة وما واکبها ونتج عنها من حقائق تاريخية في محيط الأسرة الأنصارية .

التأثيرات المادية والاقتصادية :

لا يختلف اثنان في أنه سيكون للهجرة -وبحكم كونها عملية انتقال مجموعات بشرية إلى بلد عامر بالسكان محتاج إلى موارد العيش والمياه آثار سلبية على حياة السكان ، وهكذا كان من آثار الهجرة حدوث ضغط على موارد العيش والمياه والأرض الصالحة للسكنى ، لكن الأسر الأنصارية قابلت هجرة المسلمين من مكة بكل محبة ورضا .

لقد أعطى الأنصار المهاجرين نصف ثمار أموالهم^(١) ، لكن رسول الله ﷺ لم يشأ أن يشغل المهاجرين بالزراعة فهو يحتاج إليهم لمهام الدعوة والجهاد، كما أن المهاجرين لم يكونوا يعرفون العمل ، وقد ورد أن المهاجرين قالوا لرسول الله ﷺ : (ما رأينا قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل؟ ولا أحسن بذلاً من كثير ، لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنة)^(٢).

وعلى الرغم من أن عدد المهاجرين في بداية العهد النبوي لم يكن يتجاوز المائة أسرة وفقاً لما يراه بعض الباحثين .. إلا أن هذا العدد أثر على حياة الأنصار الاقتصادية ولم تتحسن تلك إلا بعد إجلاء بعض القبائل اليهودية^(٣) .

ومن آثار الهجرة على الأسر أن هذه الأسر تحملت أعباء مادية جراء إضافتها للمهاجرين، هذا مع يقيننا التام بأنها كانت تمارس نشاطها في مجال الإضافة بارتياح معنوي واسع وعن اقناع ورضى ، يصور ذلك قوله

(١) انظر البيهقي : السنن الكبرى ، كتاب الإجارة ، باب شرط العمل في المساقاة ، ج٦ ، ص ١١٦ . راجع العُمري : السيرة الصحيحة ، ج١ ، ص ٢٤٢ .

(٢) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٤ ، ص ٥٦٥ وفيه ورد عن النبي ﷺ قوله عن المهاجرين لما عرض الأنصار أن تكون الأموال بينهم (هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر) والمراد بذلك العمل الزراعي ، ولقد اتجه جزء من المهاجرين إلى العمل التجاري يدل على ذلك قول أبي هريرة (إن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم) انظر البخاري : الجامع الصحيح ، ج٣ ، ص ٧٤ باب ما جاء في الغرس .

(٣) أحمد الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، ص ٣٨٣-٣٨٤ .

تعالى ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

لقد كانت الضيافة عادة متأصلة في نفوس الأوس والخزرج قبل الإسلام إذ كانوا يحملون الكَلَّ ، ويحسنون إلى ابن السبيل ويفعلون في أموالهم المعروف^(١). ويروي ابن إسحق أنهم عندما تعرضوا لغزو ملك حمير (أبي كرب تبار أسعد) كانوا يقاتلونه نهاراً ويُقرونه ليلاً^(٢) . ولقد عمق الإسلام فيهم خصال الخير ، والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا^(٣) . وبناءً عليه فلا غرابة أن تستقبل الأسر الأنصارية أولئك المهاجرين بالبذل السخي متسابقة لإيوائهم وإنزالهم ، حتى إن تلك الأسر اقترعت على سكنى المهاجرين لأن عدد الراغبين في الإيواء المتزاحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين^(٤) ، ولقد آخى رسول الله

(١) الحاكم النيسابوري : المستدرک على الصحيحين ، کتاب الأطعمة ، ج٤ ، ص ١٣٢ .

(٢) انظر ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ج١ ، ص ١٦ .

(٣) انظر البخاري : الجامع الصحيح ، کتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) ، ج٤ ، ص ١١١ ، مسلم : الجامع الصحيح ، کتاب الفضائل ، باب من فضائل يوسف عليه السلام ، ج٤ ، ص ١٨٤٧ .

(٤) سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج٦ ، ص ٣٥٢ ، ويلحظ أن عدد المهاجرين لم يكن كبيراً قياساً إلى الأنصار ، ففي بدر بلغ عدد المهاجرين (٨٣) وعدد الأنصار (٢٣١) وفقاً لما ورد في بعض الروايات علماً بأن النبي ﷺ نذب الناس للخروج ولم يعزم على أحد للقاء العير وعند فتح مكة كان عدد المهاجرين المشاركين في جيش الفتح (٧٠٠) رجل وعدد الأنصار (٤٠٠٠) رجل ، انظر : ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ج٢ ، ص ٣٥٤ ، الواقدي : المغازي ، ج٢ ، ص ٨٠٠ .

بين المهاجرين والأنصار^(١). ولم يكتف النبي بمجرد الحث على التآخي بل عمد إلى تفعيل ذلك في مجال الواقع ، للحاجة الشديدة إلى خطوة من هذا القبيل ، ولأن بيئة الأنصار أُسرّاً وأشخاصاً كانوا مهئين لذلك ، ولو لم يكونوا كذلك لما نجحت المؤاخاة ، لقد كانت بيعة العقبة الثانية الأساس الذي هاجر عليه المسلمون من مكة وكانت مسألة حماية الرسول ﷺ والمهاجرين و إيوائهم من المسائل التي التزم بها الأنصار رضي الله عنهم، جاء في بعض الروايات أن النبي ﷺ قال للأنصار في العقبة الثانية: (وأسألكم لنفسي ولأصحابي أن تؤونا وتنصرونا)^(٢) ، ونظراً لأنه لم يكن في المدينة مؤسسات أو تنظيمات تجمع مال الرفاة^(٣) لإطعام القادمين للبلد ، لذلك فعند التنفيذ كانت الأسر الأنصارية تحقق التزامات زعماء الأنصار برضا وأريحية ظاهرة .

لقد نزل رسول الله ﷺ عند أبي أيوب الأنصاري حتى ابتنى مسجده ومسكنه^(٤) ، ونزل عبد الرحمن بن عوف ، عند سعد بن الربيع الأنصاري. لكنه أبى أن يأخذ ما عرض عليه من المال ورفض عرضه بأن يطلق إحدى امرأتيه فإذا تزوجها عبد الرحمن بن عوف ، وإنما طلب منه أن يدلّه

(١) انظر الحديث الذي أخرجه البخاري عند ابن حجر ، فتح الباري ، ج٣ ، ص ١١٤ .

(٢) البيهقي : دلائل النبوة ، ج٢ ، ص ٤٥١ .

(٣) قال ابن حبيب : كانت الرفاة خراجاً تخرجه قريش من أموالها ، لضيافة الحاج ، انظر المنمق في أخبار قريش ، ص ٣٢ .

(٤) انظر البيهقي : دلائل النبوة ، ج٢ ، ص ٥٠١ .

على السوق حيث مارس فيه البيع والشراء^(١) حتى أصبح من أثرياء الصحابة^(٢) . وكذلك نزل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على خبيب بن إساف بالسُّنح ، وقيل على خارجة بن زيد ، ونزل طلحة بن عبيد الله على أسعد بن زرارة ، ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ في دار بني عبد الأشهل^(٣) .

وظلت بيوت الأسر الأنصارية تؤوي المهاجرين حتى ابنتى رسول الله لأصحابه المهاجرين المتفرقين في درو الأنصار^(٤) دوراً في الأراضي التي وهبها الأنصار لرسول الله ﷺ ، وقد جاءت روايات كثيرة تبين كيف نهضت أسر أنصارية عديدة بواجب الضيافة لرسول الله ﷺ ولأصحابه المهاجرين ، ومن تلك الأسر أسرة سعد بن عبادة^(٥) وأسرة أبي الهيثم بن التيهان^(٦) .

وإضافة إلى ذلك كانت السقاية مما عنى به بعض الأنصار ، فقد كان

-
- (١) انظر البخاري: الجامع الصحيح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب إزاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، ج٤ ، ص ٢٢٢ .
 - (٢) تصدق لجيش العسرة بأربعة آلاف درهم ، وروي عنه أنه قال : إن عندي مائة أوقية ذهب في الصدقات ، انظر ابن هشام : سيرة النبي ، ج٤ ، ص ٢٠١ ، الطبري : : جامع البيان ، ج١ ، ص ١٣٥ .
 - (٣) ابن هشام : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٨٩ ، ٩١ ، ١١٠ .
 - (٤) البلاذري : أنساب الأشراف ، ج١ ، ص ٢٧٠ .
 - (٥) انظر الواقدي : المغازي ، ج٣ ، ص ١٠٩٥ وابن حجر : الإصابة ، ج٢ ، ص ٢٨٣ .
 - (٦) ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج٤ ، ص ٢٧٥ .

لسعد بن عبادة سقاية بالمدينة^(١) ، وعرف عن بعض الأنصار أنه كان يبرد الماء لرسول الله ﷺ في أشجابه^(٢) له ، وحمارة^(٣) من جريد^(٤) .

وأسهمت المرأة الأنصارية مثل ما فعلت زوجة جابر بن عبد الله^(٥) وامرأة أبي أسيد الساعدي^(٦) في تهيئة الطعام للأضياف ومواساة المحتاجين للطعام ، ووصفت بعض الدور الأنصارية بأنها مأوى للضيوف كدار أم شريك وهي امرأة غنية من الأنصار ، عظيمة النفقة في سبيل الله ينزل عليها الضيوف^(٧) . ومن الدور التي نزل بها ضيوف الدولة الإسلامية عام الوفود ، دار رملة بنت الحارث^(٨) . وقد أضافت أسر أنصارية رجالاً وافدين على النبي ﷺ رغم ضآلة ما لديها من موارد ، وقلة ما لديها من

(١) البيهقي : السنن الكبرى ، كتاب الزكاة ، باب ما ورد في قوله تعالى : (ويؤثرون على أنفسهم) ج٤ ، ص ١٨٥ والخبر مرسل .

(٢) الأشجابه : الشجب : هو السقاء الذي خلق وبلي : انظر ، الصالحى : سبل الهدى ٣٧٩/٧ .

(٣) حمارة : هي ثلاث خشبات تسمر رؤوسها بعضها في بعض وتقام ويلقى فيها المسافرين قريته ، انظر : الصالحى ، المصدر نفسه .

(٤) مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب الزهد ، ج٤ ، ص ٢٣٠٨ .

(٥) انظر البيهقي : دلائل النبوة ، ج٣ ، ص ٤١٦ .

(٦) انظر ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج٤ ، ص ٤٣٠ .

(٧) مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب الفتن واشراط الساعة ، ج٤ ، ص ٢٢٦١ ، ويلاحظ أن بعض العلماء أنكروا أن تكون أم شريك من الأنصار ، وقال آخرون هما ثنتان ، قرشية وأنصارية ، محمد فؤاد عبد الباقي ، تعليق على الحديث فى المصدر نفسه ، راجع : ابن حجر : الإصابة ، ج٤ ، ص ٤٦٥ .

(٨) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص ٣١٥-٣١٦ .

زاد ، فعلى سبيل المثال : أخرج البخاري في صحيحه : أن رجلاً أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه، فقلن : ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله : من يضيف هذا ؟ فقال رجل من الأنصار: أنا فانطلق به إلى امرأته فقال : أكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت : ما عندنا قوت صبياني ، فقال : هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاءً. فهيأت طعامها ، وأصبحت سراجها ، ونومت صبيانها ، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلاً يُريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين ، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال : ضحك الله الليلة من فعالكما^(١) .

وكان النبي ﷺ إذا هاجر أحد من العرب وكُلَّ به رجلاً من الأنصار، يروى عن الصحابي عبد الله بن مغفل المزني : أنه قال: إن النبي ﷺ وكُلَّ بي رجلاً من الأنصار كنت أغدو عليه فأجلس ببابه حتى يخرج فإذا خرج ترددت معه في حوائجه فاستقرئه القرآن وأسأله في الدين^(٢) .

لقد تأصل دور الأسر الأنصارية الاجتماعية في مجال الإضافة واستقبال المهاجرين والوافدين على المدينة ، بعد أن اعتمدت القيادة النبوية عليها - بعد الله - في إيواء المهاجرين وإضافة القادمين في سنوات العهد النبوي الأولى ، ومما يدل على ذلك أن بعض الأسر الأنصارية استمرت تقوم بذلك الدور ففي عام الوفود أضافت أسر أنصارية وفوداً

(١) البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة" ، ج٤ ، ص٢٢٦ .

(٢) ابن شبه : تاريخ المدينة ، تحقيق علي دندل وياسين بيان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ ، ج١ ، ص٢٦٤ .

قدمت المدينة ، ورافق تلك الإضافة إسهام من جانب الأسر الأنصارية في تعليم أولئك الوافدين لشرائع الإسلام وأحكامه كما حدث مع وفد عبد القيس الذي قدم المدينة للقاء النبي ﷺ فقد أوصى النبي ﷺ بهم الأنصار حيث أقبل عليهم قائلاً :

((يا معشر الأنصار ، أكرموا إخوانكم ، فإنهم أشباهكم في الإسلام ، وأشبه شيء بكم شعاراً وأبشاراً ، أسلموا طائعين غير مكرهين ، ولا موتورين ، إذا أبى قوم أن يسلموا حتى قتلوا . فلما أن أصبحوا قال " كيف رأيتم كرامة إخوانكم لكم ، وضيافتهم إياكم ؟" قالوا خير إخوان ، ألانوا فرشنا ، وأطابوا مطعمنا ، وباتوا وأصبحوا يعلموننا كتاب ربنا ، وسنة نبينا ﷺ فأعجب النبي ﷺ وفرح بها ، ثم أقبل علينا رجلاً رجلاً ، يعرضنا على ما تعلمنا وعلمنا ، فمنا تعلم التحيات ، وأم الكتاب ، والسورة والسورتين والسنة والسُنن ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فقال : (هل معكم من أزوادكم شيء ؟) ففرح القوم ، وابتدروا رجالهم فأقبل كل رجل معه صبرة من تمر فوضعها على نطع بين يديه .. الحديث^(١) .

التأثيرات الاجتماعية :

كذلك كان من نتائج الهجرة الاجتماعية المصاهرات بين المهاجرين والأسر الأنصارية .

فقد تزوج عدد من المهاجرين من بنات الأسر الأنصارية وفي القائمة

(١) انظر الإمام أحمد ، المسند ، أشرف على تحقيقه ، شعيب الأرنؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ط ٢ ، ١٤٢٠هـ ، ج ٢٩ ، ص ٣٦٦-٣٦٧ .

الآتية إيضاح لذلك :

- ١ - أبوبكر الصديق تزوج من حبيبة بنت خازجة الخزرجية^(١).
- ٢ - عمر بن الخطاب تزوج من جميلة بنت ثابت بن أبي الأقلح^(٢).
- ٣ - حمزة بن عبد المطلب تزوج من خولة بنت قيس الأنصارية^(٣).
- ٤ - عبد الرحمن بن عوف تزوج من بنت أبي الحسير أنس بن رافع^(٤).
- ٥ - زيد بن الخطاب تزوج من حبيبة بنت أبي عامر ومن لبابة بنت أبي لبابة^(٥).
- ٦ - عثمان بن أبي طلحة تزوج من نسيبة بنت سمالك^(٦).
- ٧ - أبو أحمد بن جحش بن رئاب الأسدي تزوج من الفريعة بنت قيس ابن عمير^(٧).
- ٨ - زيد بن حارثة تزوج حميمة بنت صيفي^(٨).

-
- (١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٣ ، ص٤٢٦ .
 - (٢) الطبري : المصدر نفسه ، ج٤ ، ص١٩٩ .
 - (٣) ابن سعد : الطبقات ، ج٨ ، ص٤٤٤ ، ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٥ ، ص٤٤٦ .
 - (٤) انظر ابن حجر : فتح الباري ، ج٩ ، ص٢٣٤ .
 - (٥) انظر ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٣٤٥ ، ص٣٤٨ .
 - (٦) ابن سعد : المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٢٤٨ .
 - (٧) ابن سعد : المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٣٥٢ .
 - (٨) ابن سعد : المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٣٩٩ .

إن المكانة التي اكتسبها المهاجرون رضي الله عنهم في مجتمع الأنصار - بصفتهم ذوي سابقة وفضل و أهل علم وفقه - من دوافع تلك الزيجات، كما أن فئة المهاجرين كانت مكونة في الغالب من الذكور ، فبعض زوجات المهاجرين ظللن في مكة لفترة، وبعضهن بقين على كفرهن ، مثل زوجتي عمر بن الخطاب اللتين طلقهما بعد نزول قوله تعالى : ﴿وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ [المتحنة: ١٠] وهما: قريبة ابنة أبي أمية، وأم كلثوم بنت جرول، ومثل أروى بنت ربيعة بن الحارث زوجة طلحة بن عبد الله^(١) . لذلك لا غرابة أن يقبل المهاجرون على الزواج من الأنصار ، بسبب الاختلال في التركيب النوعي داخل فئة المهاجرين، وبالمقابل فإن مجتمع الأنصار وبحكم أنه عانى من الحروب التي نجم عنها قتل العديد من الرجال ، هذا المجتمع لابد أن لديه وفرة في عدد الإناث بسبب الحروب السابقة بين الأوس والخزرج .

ويظهر أن زواج الأنصار من قرشيات كان قليلاً ، وعلى نطاق محدود ، ومن الأمثلة القليلة على ذلك زواج أبي عمرة الأنصاري من هند بنت المقوم بن عبد المطلب^(٢) بنت عم النبي ﷺ ، و زواج سهل بن حنيف من أم كلثوم بنت عتبة بن أبي وقاص^(٣) . وقد لوحظ أن النبي ﷺ لم يتزوج من نساء الأنصار وقيل أن سبب ذلك أنه ﷺ ذكر غيرة الأنصار فكره أن يسوءهم

(١) انظر الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ، مج ١٢ ، ج ٢٨ . ص ٤٧ .

(٢) ابن سعد : الطبقات : ج ٨ ، ص ٤٩ ، ، ابن حجر : الإصابة ، ج ٤ ، ص ١٤١ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، ج ٣ ، ص ٤٧١

في نسائهم^(١).

وعلى أي حال فإن المصاهرات بين المهاجرين والأنصار أدت إلى قيام علاقات أسرية بحتة بين جزءٍ من المهاجرين وبعض الأنصار تضاف إلى الرابطة الإيمانية؛ مما زاد في دعم عرى التلاحم والانسجام بين عنصري أمة الإسلام الناشئة ، وخفف من وطأة الشعور بالغربة ومفارقة الدار - عند المهاجرين - .

ومن تأثيرات الهجرة في الجانب الاجتماعي مما يمس الأسر الأنصارية ، نشأة علاقات جوار بين الأسر الأنصارية ، وأسر المهاجرين وأغلبهم من قريش، ترتب عليها تعاون على البر والتقوى^(٢)، عضدها عقدُ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، كما ترتب عليها التعاونُ في مجالات مختلفة ، ومن ذلك التعاون في أداء الأعمال المنزلية وإعداد الطعام يفهم ذلك من قول أسماء بنت أبي بكر زوجة الزبير بن العوام رضي الله عنهما : (لم أكن أحسن الخبز وكان يخبُزُ لي جارات من الأنصار وكن نساء صدق)^(٣) .

(١) انظر ابن سعد: الطبقات ، ج٨ ، ص٤٤٥ .

(٢) على سبيل المثال كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجاره الأنصاري يتناوبون النزول على رسول الله لأخذ ما ينزل على رسول الله من القرآن وما يكون من أخبار . انظر البخاري الجامع الصحيح ، كتاب النكاح ، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها ، ج٦ ، ص١٤٨ .

(٣) انظر البخاري : المصدر السابق ، كتاب النكاح ، باب الغيرة ، ج٦ ، ص٦٥١ ، وأنظر ابن حجر : فتح الباري ج٩ ، ص٣١٩ .

التأثيرات الثقافية والعلمية :

ومن تأثيرات الهجرة النبوية . إقبال الأسر الأنصارية على التفقه في الدين وأخذ العلم عن رسول الله ﷺ . لقد اكتسبت بعض الأسر قدراً من العلم والمعرفة بالأحكام الشرعية قبل الهجرة فبعد بيعة العقبة الأولى بعث النبي ﷺ مصعب بن عمير رضي الله عنه ليعلم الأنصار ويفقههم ويقرئهم القرآن الكريم^(١).

وبعد أن أصبح المبلغ عن رب العالمين والمبعوث برسالة الإسلام بين الأنصار كان من البديهي أن تتسارع خطى الأسر الأنصارية للتفقه في الدين لاقتناعها بالحاجة إلى ذلك ، تقول عائشة رضي الله عنها : (نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين)^(٢)، وتشتي على مبادرتهن تطبيق ما ينزل من القرآن مشيرةً إلى ما يتم في البيوت الأنصارية من تفقه في الدين وتلاوة للقرآن الكريم ، يفهم ذلك من قول عائشة : (إن لنساء قريش لفضلاً ، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار تصديقاً لكتاب الله ولا إيماناً بالتزليل ؛ لقد أنزلت سورة النور

﴿ وَلَيُضْرَبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها ويتلو الرجل على امرأته أو ابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته ، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المُرَجَّل

(١) انظر ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ج٢ ، ص٤٦ .

(٢) انظر البخاري : الجامع الصحيح ، باب الحياء في العلم ، ج١ ، ص٤١ ، مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب الحيض ، ج١ ، ص٢٦١ .

فاعتجرت به؛ تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله في كتابه فأصبحن وراء رسول الله معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان^(١) .

ولقد سعت النساء من زوجات وأمهات وأخوات ممن يتركز عليهن بناء الأسرة الداخلي سعين لمزيد من التعرف على بعض الأحكام ذات المساس بحياتهن الخاصة وأحوالهن الزوجية .

ولقد عني ﷺ بتعليم نساء الأنصار مع التركيز على بعض القضايا التي تهم الأسرة والمرأة من خلال أخذ البيعة منهن^(٢) . وروى ابن جرير بسنده عن أم عطية قالت : (لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جمع نساء الأنصار في بيت ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب ، فقال : تبايعن على أن لا تشركن بالله شيئاً ، ولا تسرقن ولا تزنين؟ قلن : نعم . قالت : وأمرنا في العيدين أن نُخرج فيه الحُيَّض والعواتق، ولا جمعة علينا، ونهانا عن اتباع الجنائز)^(٣) .

وثمة روايات أخرى عن بيعة بعض النساء الأنصاريات للنبي ﷺ ومن خلال لقاءات البيعة تلك نستطيع القول: إن تلك اللقاءات أكدت على مسؤولياتهن تجاه الأزواج والبيوت . روى ابن سعد بسنده عن سلمى بنت

(١) انظر ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ٥٧٢ ، أبو داود : السنن ، كتاب اللباس ، باب في قوله تعالى (يدنين عليهن من جلابيبهن) ، جـ ٣ ، ص ٢٧٥ ، رقم الحديث (٤١٠٠) .

(٢) مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب الجنائز ، باب التشديد في النياحة ، جـ ٢ ، ص ٦٤٥ .

(٣) جامع البيان : مج ١٢ ، ج ٢٨ ، ص ٥٣ .

قيس الأنصاري قالت : (أتيت النبي ﷺ أبايعه في نسوة من الأنصار وكان مما أخذ علينا أن لا تغشش أزواجكن .. فرجعنا فسألناه ما غش أزواجنا؟ فقال : أن تحابين أو تهادين بماله غيره)^(١) .

وفي صحيح مسلم عن أم عطية الأنصارية : (أخذ علينا رسول الله ﷺ مع البيعة ألا ننوح)^(٢) . وقد ظهر حرص المرأة الأنصارية على التفقه في الدين ومعرفة الأحكام الشرعية في بعض القضايا والمسائل؛ يدل على ذلك أسئلة الأنصاريات الموجهة إلى رسول الله ﷺ ، كأسئلة أم سليم^(٣) وأسئلة أسماء بنت يزيد الأشهلية الأنصارية^(٤) .

ولقد كانت هناك عدة قنوات ووسائل بواسطتها اكتسبت المرأة الأنصارية نصيباً من العلم الشرعي ومن ذلك :

* خطب النبي ﷺ ومنها خطب الجمعة وخطب العيدين ، يروى عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان أنها تعلمت سورة "ق" من رسول الله ﷺ يقرؤها كل جمعة^(٥) ، ومما حرصت عليه المرأة الأنصارية حضور خطبة

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٩-١٠ .

(٢) مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب الجنائز ، باب التشديد في النياحة ، ج٢ ، ص٦٤٥ .

(٣) انظر مثلاً البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب الغسل ، باب إذا احتلمت المرأة ، ج١ ، ص٧٤ .

(٤) انظر البخاري : الأدب المفرد ، ص٣٥١ ، ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٥ ، ص٣٩٨ .

(٥) مسلم : المصدر السابق ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، ج٢ ، ص٥٩٥ .

العيدين حيث تخرج النساء لخطبة العيدين حتى العواتق وذوات الخدور^(١) . وكان النبي ﷺ يعظ النساء ويذكرهن بعد الفراغ من الخطبة^(٢) ، وهناك مواعظ ألقاها النبي ﷺ على النساء بصفة خاصة، لما قلن له: غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً فوعظهن وأمرهن^(٣) .

* حضور بعض الفروض خاصة الفجر حيث يشهدا نساء مؤمنات متلفعات بمروطهن^(٤) ، ومعلوم أن شهود الصلاة يمكنهن من سماع القرآن الكريم وما يتلو الصلاة من أحاديث بين النبي وصحابته^(٥) .

* الزيارات النبوية للأسر الأنصارية ؛ حيث كان رسول الله يتعهد الأنصار ويعودهم ويسأل عنهم^(٦) ، ومن الدور التي شرفت بزياراته على

(١) العاتق : هي الجارية ، أول ما أدركت ، أو التي لم تتزوج ، الخدر : ستر يمد للجارية في ناحية البيت ، انظر الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، ص ٤٩٠ ، ١١٧١ .

(٢) انظر البخاري : المصدر السابق ، كتاب العيدين ، باب خروج النساء والحض إلى المصلى ، ج ٢ ، ص ٨ .

(٣) البخاري : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٨ ، ابن حجر : فتح الباري ، كتاب العيدين ، باب خروج النساء والحض ج ١ ، ص ٣٨٣ .

(٤) البخاري ، الصحيح ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب وقت الفجر ، ج ١ ، ص ١٤٤ .

(٥) جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح حتى تطلع الشمس . وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية ، كتاب الفضائل ، باب تبسمه ﷺ ، ج ٤ ، ص ١٨١٠ .

(٦) الحاكم النيسابوري : المستدرک ، كتاب الجنائز ، ج ١ ، ص ٤٨٣ . البغوي : شرح السنة ، كتاب الاستئذان وغيره ، باب التسليم على النساء ، ج ٦ ، ص ٣٣٥ .

سبيل المثال : دار عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان^(١) ،
 ودار سعد بن عبادة^(٢) ، ودار جابر بن عبد الله^(٣) ، وقد ورد في بعض
 المصادر أنه كان يزور أبا طلحة الأنصاري كثيراً^(٤) ، ومن خلال الزيارات
 تكتسب الأسر نصيباً من العلم والفقه بوجود النبي ﷺ بينها حيث
 يوضح بعض المسائل ويعقب على بعض الألفاظ والعبارات ؛ فعلى سبيل
 المثال نجد أن النبي ﷺ يوضح للحاضرين في دار سعد بن عبادة كيفية
 الصلاة عليه والتشهد الأخير^(٥) . وفي أثناء حضوره زواج الربيع بنت
 معوذ سمع قول منشدة تقول : وفينا نبي يعلم ما في غد ، فنهى عن
 ذلك^(٦) فقد أنكر عليها إطرأها له بنسبة علم الغيب إليه وهي صفة
 تختص بالله تعالى .

* الرجوع إلى أمهات المؤمنين خاصة عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما
 حيث كن أحياناً يفسرن بعض أقوال النبي ﷺ أو يُعِدْنَ تلك الأقوال على
 مسامع النساء ، ومن الأمثلة على ذلك :

- (١) انظر البخاري : الصحيح مع الفتح ، كتاب الجهاد ، ج٦ ، ص ٧٦ .
- (٢) انظر ابن حجر : الإصابة ، ج٢ ، ص ٢٨٢ .
- (٣) انظر مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب الفرائض ، باب ميراث الكلاله ، ج٣ ،
 ص ١٢٣٤ ، البيهقي : دلائل النبوة ، ج٣ ، ص ٤٨٦ .
- (٤) انظر البغوي : الأنوار في شمائل النبي المختار ، ج١ ، ص ٢٥٥ .
- (٥) انظر مسلم : المصدر السابق ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ ،
 ج١ ص ٥٠٣ .
- (٦) البخاري : الصحيح مع فتح الباري ، كتاب النكاح ، باب ضرب الدف في
 النكاح والوليمة ، ج٥ ، ص ٢٠٢ .

أن أم سلمة أعادت حديث (إن السوء إذا فشا في الأرض ولم يتناه عنه أرسل الله بأسه) لإحدى النسوة الأنصاريات^(١)، كما شرحت عائشة للمرأة الأنصارية التي سألت عن غسل الحيض مراد النبي ﷺ^(٢).

* وعن طريق هذه القنوات وبواسطة تلك الوسائل المذكورة ، اكتسبت المرأة الأنصارية نصيباً من العلم الشرعي وتزودت الأسرة الأنصارية بثقافة شرعية مكنتها من النهوض بواجباتها والقيام بوظائفها على الوجه السليم .

(١) ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٥ ، ص ٦٣٨ .

(٢) البخاري : الصحيح مع فتح الباري ، كتاب الحيض ، باب غسل المحيض ، ج١ ، ص ٤١٧ .

الخاتمة

بعد الانتهاء من هذه الدراسة تبين لي العديد من النتائج أهمها :

- عاشت الأسر الأنصارية في العهد النبوي تحت مظلة الشريعة الإسلامية التي عظمت أمر الزواج كرابطة مشروعة بين الرجل والمرأة .
- نهضت المرأة - الزوجة والأم - بالعديد من الواجبات والمهام ، ومنها مهام اقتضتها ظروف الأسرة كراعاية المنزل والنفقة على ساكنيه ، ومنها مهام اقتضتها ظروف المجتمع المسلم آنذاك حيث المواجهة مع خصوم الدعوة.
- اهتمت الأسر الأنصارية بتربية أولادها والعناية بهم وربطهم بالقيادة النبوية .. بعد أن كانت تلك الفئة محل الإهمال في الجاهلية .
- أثرت الغزوات على تركيب بعض الأسر وأوضاعها ؛ لاستشهاد العديد من الأزواج والآباء في الغزوات والسرايا .
- لقد كان لوجود النبي ﷺ بالمدينة أثره البالغ على مسيرة الأسر الأنصارية وهي تمارس حياتها العادية وتقوم بوظائفها ضمن المجتمع المدني، فإن وجود النبي ﷺ بالقرب من هذه الأسر ، واختلاطه المباشر بأفرادها جعل سلوكيات مجتمع الأسرة الأنصارية محل التقويم المباشر من جانبه ﷺ .
- ناقش البحث تأثيرات الهجرة على حياة الأسر الأنصارية ،ومما توصلت إليه الدراسة : أن الأسرة الأنصارية وقعت عليها أعباء إضافة المهاجرين

وإيوائهم ، كذلك كان من نتائج الهجرة الاجتماعية المصاهرات بين المهاجرين والأسر الأنصارية، مما أوجد علاقات أسرية بين جزء من المهاجرين والأنصار..عضدت العلاقات الأخوية القائمة على روابط الدين .

- أرجو أن تكون هذه الدراسة قد غطت المسائل والقضايا التي تطرقت إليها وأن يكون الباحث قد وفق في تقديم دراسة تاريخية للواقع الحياتي للأسر الأنصارية في عهد النبي ﷺ .

المصادر والمراجع

أ - المصادر:

- ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ) :
أسد الغابة في معرفة الصحابة ، نشر المكتبة الإسلامية ، بيروت (د ، ت) ،
الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٥ هـ .
- البخاري : الإمام محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ) :
صحيح البخاري ، نشر المكتبة الإسلامية ، تركيا (د ، ت) .
- البغوي : الحسين بن مسعود (ت ٥١٦ هـ) .
شرح السنة ، تحقيق : علي معوض وعادل عبد الموجود ، بيروت ، دار الكتب
العلمية ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- البلاذري : أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ) :
أنساب الأشراف ج ١ ، تحقيق محمد حميد الله ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .
- البيهقي : أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) :
دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، تحقيق عبد المعطي قلعجي ،
بيروت ، ١٤٠٥ هـ .
- السنن الكبرى - حيدر آباد ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٤٤ هـ .
- ابن حبيب : محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ)
المنمق في أخبار قریش ، تحقيق خورشيد أحمد ، ط ١ ، بيروت ، عالم الكتب ،
١٤٠٥ هـ .
- المحبر : باعثناء الدكتور ، إيليزة شتيتير ، حيدر آباد ، ١٣٦١ هـ .

- ابن حجر : أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥١هـ) :
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، طبعة دار الفكر ، بيروت (د ، ت) .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، مؤسسة الرسالة ، مصر ، ط ١ ، ١٣٢٨هـ .
- الحموي : ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٢هـ) :
- معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٤هـ .
- أبو داود : سليمان بن الأشعث (٢٧٥تـهـ) :
- سنن أبي داود ، نشر المكتبة الإسلامية ، تركيا (د ، ت) .
- ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ) :
- الطبقات الكبرى ، بيروت ، دار صادر (د ، ت) .
- السمهودي : نور الدين علي بن أحمد (ت ٩١١هـ) :
- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، القاهرة ، ١٣٢٦هـ .
- ابن شبه : عمر بن شبه النميري (ت ٢٦٢هـ) :
- تاريخ المدينة ، تحقيق وتعليق :علي دندل وياسين بيان ، بيروت ١٤١٧هـ .
- الصالحي : محمد بن يوسف (ت ٩٤٢هـ) :
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد : نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ .
- الطبري : محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) :
- جامع البيان في تفسير القرآن ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٨هـ .
- الفيروز آبادي : مجد الدين محمد (ت ٧١٧هـ) :
- القاموس المحيط ، بيروت ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧هـ .

- ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ) :
 البداية والنهاية ، تحقيق د . عبد الله التركي ، دار هجر ، القاهرة ، ١٤١٨هـ .
- النيسابوري : مسلم بن الحجاج (ت ١٦٢ هـ) :
 الجامع الصحيح ، نشر المكتبة الإسلامية ، تركيا ، استنبول ، (د ، ت) .
- الإمام مالك : (ت ١٧٩هـ) :
 الموطأ ، بيروت ، دار النفائس ، ١٣٩٧هـ .
- ابن منظور : أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) :
 لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، ١٤٠١هـ .
- ابن هشام : عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨هـ) :
 سيرة النبي ، تحقيق محمد محيي الدين ، دار التراث ، القاهرة ، (د ، ت) .
- الواقدي : محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ) :
 المغازي ، تحقيق مارسدن جونس ، ط ٣ ، بيروت ، ١٤٠٤هـ .

ب - المراجع :

- رزق الله : مهدي رزق الله أحمد :
السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، الرياض ، نشر مؤسسة الملك فيصل للبحوث الدراسات الإسلامية ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- شراب : محمد محمد حسن :
المعالم الأثرية في السنة والسيرة ، بيروت ، الدار الشامية ، ١٤١١ هـ .
- الشريف : أحمد إبراهيم :
مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، القاهرة ، دار الفكر العربي، (د،ت) .
- آل الشيخ : نورة بنت عبد الملك آل الشيخ :
الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام ، جده، نشر مؤسسة تهامة ، ١٤٠٣ هـ .
- الصغير : منصور بن محمد :
الخزرج ، دورهم في بناء الدولة الإسلامية خلال القرن الأول الهجري ، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي غير منشورة نوقشت بكلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٧ هـ .
- القطان : مناع خليل :
مباحث في علوم القرآن ، بيروت مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٠ هـ .
- العُمري : أكرم ضياء :
السيرة النبوية الصحيحة ، المدينة ، مكتبة العلوم والحكم ، ١٤١٢ هـ .